١

فى سكون الليل انسل حسين إلى غرفة النوم وهو يترنح من التعب ، كان يرتدى بذلته السوداء وهى البذلة الوحيدة التى يملكها ولا تزال تحتفظ برونقها ، فهو لا يرتديها إلا فى المناسبات الهامة . وهل هناك مناسبة أهم من حفل زفاف ابنته الثانية ؟

إنه فى ليلة زفاف أحلام سقط مغشيا عليه لما أقبل عليه شفيق وفى يده نبيلة وقال له : « أنا جاى يا عمى أطلب منك نبيلة » ، فما كان يقادر على أن يحتمل فكرة أن يقاسى ما قاساه من متاعب حتى زفت أحلام إلى جلال . إنها متاعب هدته هدا وجعلته يضيق بكل من حوله وما حوله . ولكن ما إن قال له شفيق إنه يريد نبيلة .. يريدها بحقيبة ملابسها حتى أفاق من غشيته . وقد صدق شفيق وعده فقد جاء بالمأذون وفى حفل متواضع تم كل شىء .. عقد القران وأخذ زوجه وانصرف .

وعلى الرغم من أن الحفل اقتصر على أفراد الأسرتين فقد كان شيئا مرهقا ، لقد وقف طوال النهار يشرف على إعداد المائدة التى أعدت إكراما للعريس الذى أظهر من الشهامة ما أثلج صدره ، ويذب عنها عادية أولاده سوسن وعاطف وهالة ــ التى عرفت المشى ــ فكانت

تذهب إلى مفرش المائدة المتدلى على جانبيها وتجذبه بكل قوتها .

إن زوجته زينب لم تسمح للعروسين بالانصراف قبل أن ينتصف الليل ، فلما دقت الساعة المتواضعة المعلقة فى الصالة الثانية عشرة نظر شفيق إلى حماته مستعطفا ، فإذا بالدموع تنهمر من عينيها وتقول فى صوت مخنوق با لعبرات :

ـــ خلي بالك منها يا شفيق .

ـــ دى فى عنّى يا تنت .

وخرج شفيق وقد أخذ ذراع نبيلة تحت إبطه وذهبت زينب والأولاد خلفهما لوداعهما،وانسل هو إلى غرفة النوم يترنح حتى إذا ما بلغ السرير ارتمى عليه بملابسه وراح يملأ رئتيه بهواء يشده بأنفه شدا والزغاريد تدوى فى أذنيه .

وميز زغرودة من بين الزغاريد ؛ إنها زغرودة سامى . وهم بأن يقوم لينهره فما أصبح يليق بطالب قد عرف طريقه إلى الجامعة أن يزغرد . إلا أن تعبه جعله يعرض عن رغبة القيام وتعكير دمه فى شخط ونطر وهو يريد أن يستريح وأن يستريح طويلا .

ودخلت زينب الغرفة وهى ثوب السهرة . إنه ثوب غير ذلك الثوب الذى حضرت به زواج أحلام ، لقد أصرت على أن تشترى ثوبا جديدا لفرح نبيلة ، ثوبا يليق بالمصاهرة الجديدة وما كان له إلا أن يخضع .

ورأته ممدودا فى السرير بملابسه فتقدمت منه وراحت تخلع له الحذاء وهى تقول مداعبة :

ــ والله ما حد ح يجوزها غيرك .. هو احنا لنا قيمه من غيرك .

وراحت تفك الكرافتة وتعاونه على خلع القميص ، فلما صار القميص فى يديها إذا بفانلته مرصعة بدوائر فارغة ... فقالت فى إنكار :

ــ بقى دى فانله تلبسها يا حسين ! فيها إيه لو تشترى لك كام فانله ؟

وأخذت تفك الحزام الجلد المثبت للبنطلون ثم أزرار البنطلون ، وقال :

ــ منين يا حسره ؟! هو انا قادر اتلم على قرش . حقك يا زينب تمسكى إيدك شويه ، لسه ورانا كثير .

تتوقف عن فك أزرار البنطلون وتلتفت إليه فى شىء من الغضب :

ــ يعنى شايفنى عماله أبعثر الفلوس شمال ويمين . والنبى لولا تدبيرى ما كنا قدرنا نعيش .

وصمت وكست وجهه موجة من الأسى . إنه لا يريد أن يثير الزوابع ، كل ما كان يريده أن ينام .. أن يستريح . وفطنت زينب إلى ما اعتراه فأرادت أن تخفف عنه فقالت :

ــ والنبى يا حسين ما تحمل هم ، ربنا كبير .. الأيام اللى جايه ح تفوت زى الأيام اللى راحت . كنت باقول لك دايما رزق البنات ورا الباب ما كنتش بتصدقنى . جالك كلامى بقى ؟

جسمه ينبض بالتعب .

وانتهت من إلباسه بنطلون البيجاما فجلس فى السرير ورفع ذراعيه كطفل طيب يحاول أن يعاون أمه على إلباسه ملابسه ، فما أن أدخلت ذراعيه فى كمى الجاكتة حتى استلقى على ظهره منهوكا والنوم يثقل جفنيه فيسدلهما على عينيه .

وزررت له أزرار الجاكتة ثم مالت عليه وقبلته قبلة خاطفة وقالت له :

ــ تصبح على خير . نوم العوافى . عايز حاجه قبل ما تنام ؟

وذهبت لتخلع ثوبها فإذا به يقول وهو يتثاءب :

ــ عايز استريح ومش عايز حد يصحينى ولو الدنيا ادربكت .

وما أن أنتهى من كلامه حتى جاءت من الغرفة المجاورة أصوات ثائرة . إنها أصوات أبنائه وكان من الواضح أنهم يتشاجرون ، فهب من سريره وانطلق غاضبا إلى مصدر الصوت وكان آتيا من غرفة أحلام ونبيلة ، فدخل إليها كالعاصفة . وأتت زينب خلفه مهرولة مفزوعة تسأل :

ــ فيه إيه يا مقاصيف الرقبة ؟

رأى سوسن واقفة فى وسط سرير أحلام ، وعاطف واقفا فى سرير نبيلة عند رأس هالة التى نامت وقد انحسر ثوبها عنها حتى كشف بطنها ، إنها غارقة فى سبات عجزت الضجة من حولها عن أن توقظها أو تجعلها تتململ فى رقادها . ورأى سامى هائجا يمد يده لينزع سوسن من فوق السرير ، فلما سمع صوت أبيه يقول مستنكرا :

ــ ما شاء الله ..

أعاد ذراعه الممدودة وأطرق ينتظر قضاء أبيه ، فأسرعت سوسن تقول :

ــ الحق يا بابا . سامى ومراد عايزين ياخدوا أودة أحلام ونبيله بعد ما اتجوزوا .. مش الأوده دى للبنات ؟

فقالت زينب :

ــ ومن قال غير كده ؟

فقالت سوسن فى انتصار :

ــ سامى .

فتقدم مراد وقال :

ــ الأوده دى ما حدش ح ياخدها إلا أنا وسامى ، سامى بقى فى الجامعه عايز يذاكر فى هدوء ، وأنا عايز برضه أذاكر .

فقالت سوسن فى تحد :

ــ من فلاحتك قوى ؟!

فقال لها حسين ينهرها :

ــ عيب يا بنت .

ثم التفت إلى سامى وقال :

ــ الأوده دى للبنات .

فقال سامى متفلسفا ليظهر علمه واعتراضه :

ــ آدى اللى خدناه من قاسم أمين .

ـــ وإيش حشر سى قاسم أمين جوز عمتك فى الموضوع ده ؟ الراجل مسافر بره بقاله سنين .

فيلتفت حسين إلى زوجته ويقول شارحا :

ـــ قاصده قاسم أمين محرر المرأة .

فقالت زينب معترضة ضائقة بهذا الزعم :

ـــ ما هى طول عمرها حره .

فقال مراد :

ـــ ما هو اللى تخن ودان الستات ، خلاهم يتعـروا فى الشوارع ويتعلموا ويتوظفوا ويتزنقوا فى الأتوبيسات .

فراحت زينب تلكزه فى صدره بقبضتها :

ـــ اخرس يا قليل الأدب .

فلم يعجبه أن تحجر أمه على رأيه فقال فى انفعال :

ـــ هى كل حاجه فى الدنيا بقت للستات ؟! والله لما أكبرلا انا عامل جمعيه تطالب بحقوق الرجاله .

فقال عاطف دون قصد :

ـــ وانت مالك ومال الرجاله ؟

فاستشاط مراد غضبا ولولا وجود أبويه لضربه ، فراح يتوعده من بعيد وعاطف يهزأ بوعيده ، كانت العيون وملامح الوجه والشفاء هى أدوات التعبير الصامت التى ما كان للأبوين عليها سلطان .

ودار سامى على عقبيه لينصرف غاضبا من ذلك القرار الجائر ،

وذهبت زينب لتغطى هالة ، وفطن الأب إلى ضيق ابنه بقراره فقال :

ـــ سامى ، تعال نتفاهم انت ما بقتش صغير .

فعاد سامى إلى حيث وقف أبوه وإن ظل مطرقا لا يرفع عينيه عن الأرض . قال حسين :

ـــ شوف يا سامى يا بنى ، إن واحده من إخواتك جت هى وجوزها حبوا يباتوا عندنا يباتوا فين ؟

فقال عاطف فى حماس :

ـــ يباتوا معايا ..

فجذبته أمه من رقبته وهى تقول :

ـــ ما بلاش غلبه و لم لسانك ده اللى عايز قطعه .

وقال مراد وقد فطن إلى ما يرمى إليه أبوه :

ـــ وإيه اللى حيخليهم يباتوا عندنا ؟

ـــ الظروف يا بنى بتحكم ، إن جم يباتوا عندنا ما فيش غير الأوده دى يباتوا فيها ، وساعتها ناخذ سوسن وهاله فى أودتنا . فهمت يا سامى ؟

فرفع سامى رأسه ونظر إلى أبيه فى رضا وقال :

ـــ فهمت يا بابا .

وانسل سامى إلى غرفته وقد أخذ عاطف فى يده ، وتمددت سوسن فى سرير أحلام وقد أركبت ساقا على ساق وهى تستشعر نشوة الانتصار ، وذهب حسين إلى غرفته وتبعته زينب ، وبقى مراد ينظر إلى

سوسن فى غيظ فلما رأته قالت فى شيطنة :

ـــ يحيا قاسم أمين محرر المرأة .

فأسرع إليها مراد وأخذ اللحاف ليكتم به أنفاسها ، فإذا بها تهم بالصياح :

ـــ يا ماما .

ففزع مراد وألقى اللحاف من بين يده وفر مرعوبا إلى غرفة البنين .

٢

وقفت زينب فى المطبخ تغسل الصحاف التى تناولوا فيها الغداء ، وجلس حسين يقرأ الصحف فى الشرفة ، واجتمع الأولاد حول الراديو يسمعون إذاعة وصف إحدى مباريات كرة القدم ، وإذا بعاطف ينسل إلى المطبخ ويقول لأمه :

ـــ رايح اتفرج على الكوره فى التلفزيون عند الجيران .

فقالت له :

ـــ بس ما تتشاقاشى .

وعرف أن ذلك تصريح له فراح يهرول خارجا ، فلقيته سوسن فقالت له :

ـــ على فين ؟

ـــ ح اتفرج على الكوره فى التلفزيون .

فانطلقت سوسن إلى أمها وقالت لها :

ـــ ح اروح مع عاطف .

فقالت زينب وهى مستمرة فى عملها :

ـــ لأ .

فذهبت سوسن إلى الشرفة حيث جلس أبوها وقالت :

— بابا ح أروح مع عاطف أتفرج على الماتش فى التلفزيون .

فقال لها دون أن يرفع عينيه عن الصحيفة التى كان يقرأ فيها :

— قولى لماما .

فعادت إلى أمها وقالت لها :

— يا ماما أروح مع عاطف .

فقالت زينب فى غضب :

— قلت لأ يعنى لأ .

فقفلت سوسن عائدة إلى أبيها وقالت :

— يا بابا ح اروح مع عاطف .

— قلت لك استأذنى من ماما .. أنا ماليش دعوه .

فقالت سوسن لتثير كرامته :

— إنت عايز تقول إنها بتمشى كلامها عليك !

— يا سوسن لازم تعرفى إن هى المسئوله عن البيت ده .

وانسحبت وهى تستشعر أن أباها قد خذلها ، وعادت إلى المطبخ وقالت لأمها فى توسل :

— والنبى يا ماما أروح مع عاطف .

فأخذتها زينب بين يديها وهزتها فى عنف وهى تقول لها فى غضب :

— هو أنا ميت مره ح اقول لأ .

فانطلقت غاضبة إلى حيث جلس أبوها وقالت منفجرة :

ـــ مش ح تطلق الست دى بقى وتريحنا .

ونحى حسين الصحيفة بعيدا ونظر إلى سوسن وهو يتصنع الغضب وإن كانت كل ملامحه تفصح حقيقة ما يحسه من انبساط ، وقال :

ـــ إنت عارفه لو ماما سمعتك ح تعمل فيكى . إيه ؟

ـــ عارفه .

ـــ طب وقولتى كده ليه ؟

ـــ طهقت .

وخرجت زينب من المطبخ فرأت سامى ومراد ينصتان إلى الراديو فى اهتمام ، فوقفت ترنو إليهما فى حنان ثم قالت :

ـــ بقى لو كان الماتش بيتذاع م التلفزيون مش كان أحسن .

فقال مراد بسخرية :

ـــ لو .. هو فين التلفزيون ده ؟

ـــ اطلبوا من بابا يجيب لكو تلفزيون .

فقال سامى فى إنكار :

ـــ هو ده معقول ؟

ـــ مش معقول ليه ؟ هو بابا عمره اتأخر لكو على حاجه .

فالتفت مراد إلى سامى وقال له :

ـــ روح يا سامى قول لبابا يجيب لنا تلفزيون .

ـــ ما تروح انت .

ـــ لأ .. انت أكبرنا ما يصحش اتقدم عليك .

ــ أنا يا سيدى متنازل لك عن حقى ده .

فنهض مراد وراح يلملم شجاعته وذهب إلى حيث كان أبوه وأمه ترقبه من بعيد ، كان حسين قد أجلس سوسن على ركبتيه وكان يحاورها وكان حديثها فيه ذكاء جعل نفسه تصفو وقد انعكس صفاء وجدانه على صفحة وجهه ، فلما قرأ مراد الرضا فى ملامح أبيه شد ذلك أزره فقال :

ــ بابا .

ــ نعم يا مراد ؟

ــ عايزين تلفزيون .

وأحس مراد كأنما أزاح جبلا عن صدره ، ولكن سرعان ما انكمش لما سمع أباه يقول فى غضب :

ــ بلاش مسخرة .

وكأنما فتح أمام سوسن بابا لم يخطر لها على بال فقالت :

ــ مش ده يا باباأحسن ما نروح عند الجيران .

وأنزلها من على ركبتيه وقال لها :

ــ روحى بلاش غلبه .

ورأت زينب أن الوقت أصبح مناسبا لظهورها على مسرح الأحداث ، فدخلت عليهم وهى تتظاهر بالبراءة وقالت :

ــ فيه إيه ؟

استراح حسين لدخولها و لم يدر أنها القشة التى يتعلق بها الغريق فقال كأنما يلوذ بها ويلتمس منها العون :

ـــ تعالى شوفى ولادك عايزين إيه ؟

ولحق سامى بهم وإذا بسامى ومراد وسوسن يقولـون فى صوت واحد :

ـــ تلفزيون ..

وفى فزع يلتفت حسين إلى زوجه ويقول كأنما يستغيث بها :

ـــ عاجبك كده ؟

فقالت زينب فى هدوء :

ـــ ربنا يخليك لهم .

وأحس أنها خذلته فقال فى ثورة :

ـــ يخلينى ؟! وحجيب منين ؟

لمعت فى ذهن سامى فكرة فقال :

ـــ نشتريه بالتقسيط .

وقال مراد :

ـــ بالتقسيط المريح .

والتفت إليه الأب وقال ساخرا :

ـــ بالتقسيط المريح ؟ وندفع القسط منين ؟

فقالت سوسن :

ـــ من مصروفنا .

وقال مراد مؤيدا :

ـــ من مصروفنا .. مش كده يا سامى ؟

فقال سامى وهو يهز رأسه موافقا :

ـــ كلنا موافقين طبعا .

ولم يشأ حسين أن يهزم فقال :

ـــ نفرض إننا ح نوافق على الكلام الفارغ اللى بتقولوه ده ، ط المقدم ندفعه ازاى ؟

وحسب الرجل أنه وضعهم أمام مشكلة ، فإذا بالزوجة تقول :

ـــ أنا عامله جمعيه من الجيران وقبضتها .

فقال مراد فى فرح :

ـــ برافو يا ماما ، يا أحسن ماما فى الدنيا .

وأسقط فى يد الزوج فقال غاضبا :

ـــ لا ، دى مؤامره .

وأيقنت زينب أن كل شيء قد أحكم فقالت وهى تنسحب الداخل :

ـــ أنا مالى .. ولادك عندك اتصرف فيهم .

وغادرت زينب المكان فالتفت حسين إلى أولاده وقال :

ـــ والمذاكرة ؟!

ـــ قبل الامتحانات بتلات شهور ما حدش ح يفتح التلفزيـ خالص .

وقال سامى مردفا :

ــ ده وعد شرف .

فقال حسين وهو يغادر الشرفة :

ــ ده كلام فارغ .. دى مسخره .. التلفزيون مش ح يدخل البيت ده أبدا طول ما أنا عايش .

٣

وضع التلفزيون فى الصالة والتف الأولاد حوله وقد ارتسم البشر فى وجوههم ، وراحت زينب ترنو إليهم فى فرح فقد نجحت فى أن تحقق لهم أمنية غالية . وما شذ عنهم سوى هالة ، كانت تداعب عروسة صنعتها لها أمها من خرقة بيضاء وبعض القش الذى تجمع لديها .

كان التلفزيون يعرض فيلما أجنبيا فلم يستحوذ على كل انتباههم بل ترك لهم فرصة الحديث والحوار ، قال مراد :

ـــ والله أنا اقدر أخلى التلفزيون ده سكوب .

فقالت زينب فى سخرية :

ـــ أيوه ، خسره زى ما خسرت الراديو .

فقال مراد مدافعا عن نفسه :

ـــ الحق علىّ اللى صلحته لكم .

فقالت زينب فى مرارة :

ـــ كتر خيرك ، مش عايزينك تصلح حاجه .. ريح نفسك وريحنا .. تعرف لو تلعب فى التلفزيون مش ح يحصلك طيب .

ورن جرس الباب الخارجى فنهضت سوسن وقالت فى فرح :

— بابا .. بابا .

وجرت إلى الباب وفتحته ، وما كاد يخطو إلى الداخل خطوة حتى قالت له فى انشراح وهى تجذبه من يده :

— تعال اتفرج على التلفزيون .

ودخل على الأولاد وقد جلسوا يتابعون الفيلم فألقى عليهم نظرة ارتياح وقال :

— السلام عليكم .

ولم يرد عليه أحد السلام بل قال له عاطف :

— هش .

وفى صمت أفسحت زينب له مكانا إلى جوارها فتقدم وجلس ، وأدار عينيه فى المكان فلمح هالة تلعب بعيدا فقال فى عتاب :

— هى هاله بس اللى مالهاش نفس !

وذهب إلى حيث كانت هالة وحملها فى حنان وقبلها ثم عاد وأجلسها فى حجرة وراح يوجه نظرها إلى التلفزيون ، فإذا بالطفلة ترتجف وتصرخ فى فزع ، ولفت خوفها أنظار إخوتها فانفجروا يضحكون .

ونهضت زينب وأخذت الطفلة وضمتها إلى صدرها تسكينا لروعها وراحت تهدهدها وتقول لها فى حنان دافق :

— اسم الله .. ما تخافيش يا روحى .

واستكانت الطفلة فى حضن أمها ، وكأنما عز على زينب أن تظل واقفة فقالت :

— انتو مش ح تتعشوا ؟

فقال سامى :

— هاتى لنا العشا هنا .

ونظرت إلى زوجها فإذا به يهز لها رأسه موافقا فقالت :

— تاكلوا إيه ؟

فقال حسين فى عدم اهتمام :

— اللى تجيبيه ، اللى عندك .

— أنتو ح تحيرونى ! ما تقولوا تاكلو إيه ؟

فقال مراد :

— بيض .

فقالت كما اعتادت أن تقول :

— هو كل يوم بيض ؟ هو انتو تعابين ؟

فقال حسين مؤيدا رأى مراد :

— والله البيض ألذم الفراخ .

— أعمله لكم سندويتش ؟!

فقال سامى معترضا :

— لأ .. أنا احب اغمس .

وقال عاطف :

— وانا .

ومدت يديها بهالة إلى حسين وقالت :

ـــ طب خد بنتك على ما احضر العشا .

وذهبت إلى المطبخ وعادت تحمل صينية عليها صفحة قلى فيها البيض وصحاف الجبن والزيتون وضعتها على منضدة صغيرة بينهم وبين التلفزيون . وراحوا يأكلون ويتابعون الفيلم . وأبت هالة أن يطعمها أبوها وأصرت على أن تأكل بيدها . وراحت تأكل فلما وجدت أن أصابعها قد تلوثت بالبيض تلفتت حولها فلم تجد أقرب من كرافتة أبيها تمسح فيها يدها ، فلم تتردد بل قبضت عليها وراحت تفركها بين أصابعها .

وفزع الأب وقال :

ـــ إيه ده ! .. إيه ده يا بنت ؟

وأحست هالة أنه ينهرها فبكت ، فما كان من زينب إلا أن خطفتها منه وضمتها إلى صدرها وهى تقول له :

ـــ خضيت البت .

فقال حسين وهو يحاول أن ينظف الكرافتة بمنديل أخرجه من جيب بنطلونه :

ـــ هو انا لاقيها منها واللا من سامى !

فقال سامى فى استياء :

ـــ وماله سامى راخر ؟

ـــ هو انت مخلينى اتهنى على كرافته .

ـــ حتى أنا ما بالبسى كرفتات .

ـــ ويوم الخميس والجمعه ؟

ـــ إيه يعنى يومين فى الجمعه .

وينظر حسين إلى المنديل الذى اتسخ ويرى أن يغيره ، فيذهب إلى غرفة النوم ويفتح الدرج الذى يضع فيه المناديل فيجده خاويا ، فيعود ثائرا ويقف عند الباب ويقول :

ـــ ولا منديل فى الدرج ! أمال المناديل راحت فين ؟

فتقول سوسن دون أن تلتفت نحوه فقد كانت تحاول أن تتتبع الفيلم :

ـــ أنا شفت سامى وهو بياخد منديل الصبح .

فتقول زينب :

ـــ أنا حطه تلات مناديل مكويه بإيدى .

فيقول حسين فى غضب :

ـــ طب الباقى راحوا فين ؟

فتقول سوسن فى بساطة :

ـــ عاطف خد واحد وأنا خت واحد .. يعنى نروح المدرسه من غير مناديل ؟

فيقول حسين وقد خفت حدة غضبه :

ـــ ما شاء الله ! .

ويذهب حسين ويجلس ليتابع القصة ، وما كاد يستقر فى جلسته حتى قال له مراد :

ـــ يا بابا انت مش ح تشترى لك شرابات ؟

فقال حسين فى هدوء :

ـــ عندى شرابات كتير .

ـــ لأ .. ما عندكش .

ـــ وإيش عرفك يا سى مراد ؟

ـــ جيت آخذ شراب الصبح ما لقيتش .

يلتفت حسين إلى زينب فتحس أن فى نظراته عتابا . فتسرع بالدفاع عن نفسها :

ـــ والله شراباتهم ومناديلهم فى ادراجهم ، بس هم اللى عنيهم زايغه .

وساد الصمت ، كان يعرض على شاشة التلفزيون منظر غرامى . وخفق قلب حسين ، كان يرجو أن ينتهى المشهد سريعا ولكن المشهد طال وانتهى بقبلة بين البطل والبطلة . ومن طرف عينيه راح يراقب أولاده .. رأى سوسن وعاطف قد أطرقا فى خجل أما سامى ومراد فقد أخذا يتابعان المشهد بكل حواسهما . والتقت عينا حسين بعينى زينب وما لبث حسين أن نهض وانصرف إلى غرفة النوم فقامت زينب وقلبها يدوى فى صدرها وخوف قد غمرها وتبعته ، فلما أحس دخولها قال لها فى عتاب .

ـــ عاجبك كده ؟ عاجبك الخساره دى ؟

ـــ خسارة إيه ؟ أنا ما اخفشى على ولادى ، أنا ولادى مؤدبين ، شفت سوسن وعاطف عملوا إيه ؟!

وراحت حوادث القصة تتتابع على الشاشة والأولاد يتتبعونها فى

اهتمام ، فالقصة قد استولت عليهم وإن كانوا لا يفقهون من الحوار الدائر بين الممثلين شيئا .

وعاد البطل يقبل البطلة فإذا بعاطف يلكز سوسن بمرفقه ويقول فى انشراح :

— علّقها !

٤

وقف حسين أمام المرآة يحلق ذقنه ، وسمع وقع أقدام بالقرب منه فالتفت فرأى مراد وفى يده صحيفة فقال :

ــ هو الجرنال جه يا مراد ؟

ــ أيوه يا بابا .

ــ طب تعال اقرا لى صفحة الوفيات ، يمكن نعرف حد فيهم .

ففتح مراد صفحة الوفيات وتقدم حتى وقف إلى جوار أبيه ، وقبل أن يفتح فمه قال له حسين :

ــ اقرا اللى مكتوب بالبنط الأسود كفايه .

فراح مراد يقرأ :

ــ مجلس مدينة بلبيس .. مدرسة التجارة الثانوية بقطور .. الحرية الثانوية التجارية للبنات بشبين الكوم .. اللجنة النقابية للمعلمين ببندر بنها .. أسرة مدرسة النصر بطلخا .. معهد دمياط الأزهرى .. مدرسة سلامون قبلى للبنات .

ــ إيه ده يا مراد .. باقول لك صفحة الوفيات مش صفحة التربية والتعليم !

ــ ما هى دى يا بابا صفحة الوفيات ، وده المكتوب بالبنط الاسود .

ــ طب سيب الجرنال واتفضل انت .

وترك مراد الصحيفة وانصرف ، وما كاد مراد يخرج حتى دخلت زينب وقالت فى هدوء :

ــ أحلام وجوزها وحماها وحماتها ، ونبيلة وجوزها جايين يتغدو عندنا يوم الجمعه .

وترك حسين الحلاقة والتفت إليها وقال :

ــ مين اللى قال لك ؟

ــ أحلام بعتت لى .

ــ قالت لك إنها هى واختها جايين فى يوم واحد ؟

ــ أيوه .

ونظر إليها فاحصا ثم قال نافد الصبر :

ــ والله انت اللى روحتى عزمتيهم .

ــ أنا .. أبدا والنبى دنا يا دوب خطفت رجلى امبارح ورحت دفعت قسط التلفزيون .

ــ وبعتت لك أحلام إمتى ؟

ــ امبارح العصر .

ــ وما قلتليش بالليل ليه ؟

فقالت وهى تدور على أعقابها لتنصرف :

ــ قلت ما انكدش عليك قبل ما تنام .

وقبل أن تنصرف جاء سامى وقال :

— عايز تلاته جنيه .

— تلاته جنيه .. ليه ؟

— كتاب جديد نزل امبارح فى الكليه .

— هو كل يوم ملازم جديده وكتاب جديد .

— ما هى الجامعه كده يا بابا .

وجاء عاطف يعدو وقال :

— عايز قرش .

فالتفت حسين إلى سامى وعاطف وزينب وقال :

— انتم مش قلتوا ندفع أقساط التلفزيون من مصروفكم .

فقال عاطف وهو يرفع كتفيه نافيا :

— أنا ما قلتش .

وذهب حسين إلى حيث علق بذلته وأخرج حافظة نقوده وأعطى سامى ثلاثة جنيهات فانصرف شاكرا ، وأعطى عاطف قرشا فراح عاطف يقلب القرش فى يده ، ثم رفع رأسه ينظر إلى أبيه وقال :

— انت مش شايف يا بابا إن القرش ما بقاش يشترى حاجه ؟

فقال حسين وهو يدفع ابنه لينصرف :

— قول كده للحكومه .

وراح حسين يرتدى ملابسه ، وأرادت زينب أن تخفف عنه فقالت :

— عندى كام زغلول فى السطح أدبحهم وكام فرخه ، أهم يسدوا

خانه يوم الجمعه .

ــ تفتكرى دول يكفوا مصطفى علوان ؟ دا عايز له هم كتير .

ــ كله يدبر .. ديك رومى نحطه فى وسط السفره ، وكام فرخه وكام حمامه ، وشوية بفتيك وصينية رقاق ، ونحشى شوية وزق عنب ، وكان الله بالسر عليم .

ــ ولازم الديك الرومى ده ؟

ــ دى أول مره يتغدوا عندنا ، عايزهم يقولوا علينا إيه ؟

وأطرق حسين قليلا ثم قال :

ــ وح يحلوا إيه ؟

ــ هات معاك بالمره كام كيلو موز وكام كيلو برتقال ، وأنا عندى لبن ح اعمل رز بلبن .

وهز حسين رأسه يأسا وسخريةوذهب إلى مكتبه . كان يكتب أرقاما فى ورقة . إنها الأثمان التقريبية للأشياء التى سيشتريها . ولما انتهى من كتابة الأرقام وجمعها أخرج من جيبه حافظة نقوده وأخذ يعد ما بها ليطمئن إلى أن ما بقى معه يكفى لشراء ما أملى عليه .

وأعاد الحافظة إلى جيبه وشرد مفكرا فإذا بصورة زينب تطفو على سطح ذهنه ، وإذا بصوتها يرن فى وجدانه : والنبى لولا تدبيرى ما كنا قدرنا نعيش .. وكادت تستولى عليه كآبة إلا أنه نهض وهز رأسه فى عنف كأنه كان يطرد الأفكار السوداء التى كادت تهاجمه لتفترسه . وأراد أن يسمع نفسه صوت الرضا والاستسلام فقال فى صوت مسموع :

ـــ الله جاب الله خد .. الله عليه العوض .

وفى العصر كان حسين وأولاده فى السوق : حسين عند الخضرى ، وسامى عند الفاكهى ، ومراد فى الجمعية التعاونية ، وعاطف عند مخبز قريب من البيت . وعادوا جميعا إلى الدار وهم يحملون ما اشتروه .. ورن جرس الباب فأسرعت سوسن وفتحته فإذا بحسين يدخل وهو يحمل لفائف بها بطاطس وقوطه وبسلة وجزر وقد أسند اللفائف بيده إلى صدره وفى يده الأخرى كرنبة ، وإذا بسامى يحمل موزا وبرتقالا ، ومراد يحمل ورقا به اللحم ، وعاطف قد رفع على رأسه كيسا به خبز . فلما رأت سوسن أباها صاحت :

ـــ كرنب .. كرنب يا ماما .

فجاءت زينب مسرعة ، فلما رأت زوجها يكاد يختفى خلف ما يحمل قالت :

ـــ شايل كل ده ؟! إن شا الله ما انشال ولا اتاكل .

وأسرعت تأخذ الكرنبة من يده وتخفف عنه بعض ما يحمل ، وسارت إلى المطبخ وهى تقول :

ـــ كان لازم يعنى الكرنب .. هو كان وحمه ؟

ـــ ما لقيتش ورق عنب .

ـــ ما كانش لازم .

ووضعت الأم الأشياء فى المطبخ ، وما كاد حسين يأخذ نفسه حتى قالت له :

ـــ والنبى يا حسين تروح تغير هدومك وتيجى تساعدنى فى تقشير البطاطس والجزر ، وانت يا سامى تفصص البسلة عبال ما اسلق الكرنبة .

فقال سامى :

ـــ أنا عندى مذاكره .

ـــ يعنى حبكت النهارده ؟!

ـــ خلى مراد وسوسن يفصصوها .

ـــ مراد وسوسن ح يقشروا البصل .

قال مراد :

ـــ اشمعنى أنا اللى اقشر البصل كل مره ؟

ـــ عشان تنضف الحبر اللى دايما فى صوابعك .

وذهب حسين إلى غرفته وسرعان ما عاد ولبس فوطة المطبخ وراح يقشر البطاطس والجزر ، وترك مراد البصل ، وانسل الأولاد ليشاهدوا التلفزيون .

ووضعت الحلل على النار ، وخرج حسين وزينب من المطبخ يبدو عليهما الإجهاد ، ونظرت زينب إلى حيث تجمع الأولاد وقالت :

ـــ كفايه لعب بقى تعالوا نوضب السفره . اعملوا حاجه نافعه مره .

فقام الأولاد فى تكاسل وذهبوا للمعاونة فى إعداد المائدة ؛ إن مائدتهم صغيرة لا يمكن أن يجلس حولها كل المدعوين غدا فراحوا يفكرون فى وسيلة يمدون بها المائدة ، فأتوا بمائدة المطبخ ووضعوها إلى جوار مائدتهم

وغطوا المائدتين بمفرش أبيض .

ووقفت زينب تعد الكراسى ، ولما كانت تعرف تماما عدد الذين سيجلسون حول المائدة قالت فى سرعة :

ـــ ناقص أربع كراسى .

ووقف حسين مفكرا وقال :

ـــ وإيه العمل دلوقت ؟

ـــ ولا حاجه ، بكره نستلفهم من الجيران .

وقالت لسوسن :

ـــ عدى ياسوسن الشوك والسكاكين .

وبعد لحظة قالت :

ـــ والا بلاش ، أنا عارفه انهم مش ح يكفوا ، نستلف شوك وسكاكين الجيران .

فقال حسين متبرما :

ـــ هو كله من الجيران ؟

ـــ يا سيدى الناس لبعضها .

وراح عاطف يعد الأكواب فإذا بكوب يسقط من يده ويتهشم ، فقالت زينب :

ـــ إيه ده يا مقصوف الرقبه ؟

ـــ كنت باعد الكوبّيات .

ـ مين قال لك تعدهم ، ميت مره قلت لك ما تمدش إيدك على حاجه ، مره تانيه تكسر حاجه ح اكسر رقبتك .

فرماها عاطف بنظرة غاضبة وقال :

ـ ماتشخوطيش فيّ كده . انتى عايزه تعقدينى .

٥

اجتمع الجميع حول مائدة الطعام ؛ كان حسين على رأسها وعن يمينه مصطفى علوان ثم زوجته ثم أحلام و جلال ، وعن يساره شفيق فنبيلة فسوسن فزينب — لتكون قلب المائدة التي تقوم بتوزيع الطعام ذات اليمين و ذات الشمال — فسامي وقد جلس قبالته مراد ، وعلى رأس المائدة من الجهة المقابلة جلس عاطف يتنازعه أكثر من انفعال ، إنه لا يدرى أأجلس في ذلك المكان ليبعد عن الطعام أم تكريما له ؟

وراحت هالة تدور حول المائدة ، إنها حائرة لا تعرف مكانها . كانت الأم تحسب أن كسرة خبز أو دبوسا من حمامة سيلهيها عنهم ؛ ولكن اتضح أن هالة لن ترضى بأقل من أن تجلس على كرسي خاص بها مثلهم . فذهبت إلى حيث كان يجلس أبوها ، فلما رآها حملها ليجلسها في حجره ، ولكنها أبت وهمت بالبكاء فإذا بمصطفى علوان يتلفت فيرى كرسيا خاليا فيقوم ويحضره ويضعه بينه وبين حسين ، ويحمل هالة ويجلسها عليه وهو يقول :

— دول بركه ، دا ربنا بيرزقنا برزقهم .

ونهضت زينب وتناولت شوكة وسكينا وراحت تحاول أن تقطع

الديك الرومى الذى توسط المائدة ، فراح مصطفى علوان يرقبها وقد تحلب ريقه . إنه لا يستطيع أن يكبح شهوته للطعام حتى تنتهى زينب من التقطيع ، فنهض وقال وهو يمد يديه ليحمل الصحفة والديك :

ـــ عنك انتى يا ست .

ولما أصبح الديك أمامه راح يمزقه إربا إربا بيديه وهو يستشعر لذة العبث فى لحم طرى ، ثم أخذ يوزع على الجميع أنصبتهم . فلما همّ بوضع قطعة أمام أحلام أدارت وجهها اشمئزازا وقالت :

ـــ بلاش يا عمى ، أنا مش طايقه آكل لحمه واللا أشم ريحتها .

وتهلل وجه زينب بالفرح .. فطنت إلى أن ابنتها تتوحم ، لقد حملت أحلام دون أن تزف إليها البشرى السعيدة التى كانت تنتظرها ، فرنت إليها فى حب وحنان وقالت :

ـــ أجيب لك حاجه تانيه ؟

فقالت أحلام :

ـــ حتت جبنه قديمه إذا كان عندك .

ـــ عندى يا حبيبتى .

وغادرت زينب المائدة وهى تكاد تطير من الفرح ، وغابت قليلا ثم عادت تحمل قطعة من الجبن وضعتها أمام ابنتها .

ـــ اتفضلى يا حبيبتى .

واستمر مصطفى فى توزيع الأنصبة فوضع أمام زوجته أطيب ما فى الديك ، ووضع لعاطف قطعة صغيرة، فراح عاطف ينظر إليه نظرات

تنطق بعبارات واضحة « هى دي اللى هانت عليك ؟ هو ديك أبوك ؟ » ولم ينس بالطبع نفسه فقد خصها بطبلة الديك ونصفه الأسفل .

ونظرت إليه زينب وقالت فى مجاملة :

ـــ انت ما خدتش حاجه .. خدت العضم .

فقال مصطفى علوان وهو يدس فى فمه أسمن ما فى الديك :

ـــ أصل أنا أحب امصمص العضم .

وقال حسين مداعبا :

ـــ ما ينوب اللى بيقسم إلا مصمصة صوابعه .

وانهمك الجميع فى الأكل وكانت زينب تصوب عينيها إلى نبيلة ، فإذا ما التقت الأعين كانت تشير لها برأسها إلى أحلام ؛ كانت تسألها عما إذا كانت قد حملت مثل أختها . وقد فهمت نبيلة ما تقصدة أمها فهزت رأسها نفيا ، فظهر القهر فى وجه الأم ولوت شفتها السفلى ووسعت عينيها وهزت حاجبيها وصعرت خديها ، وفهمت نبيلة أن أمها تقول لها يا خايبه .

والتفتت سوسن إلى نبيلة وقالت لها :

ـــ والنبى يا نبيله وانتى يا أحلام ما تبقوش تغيبوا علينا كده .

فأشرق وجه نبيلة بابتسامة ومالت على سوسن ولولا أن فمها كان مملوءا بالطعام لقبلتها ، وقالت لها :

ـــ وحشناك يا روحى ؟

فقالت سوسن فى بساطة :

ـــ سيب ده دلوقت .

وتمطى مصطفى علوان والتفت إلى زينب وقال :

ـــ إيد ما نعدمها .. كان يوم مبروك يوم ما جيتى وعزمتينا .

وطرق قوله رأس حسين طرقا عنيفا فالتفت إلى زينب وكانت ترقبه بطرف عينها ، فلما رأت كل ملامحه تصرخ فيها : بقى كده ؟ انكمشت وراحت تنظر إلى بقايا الطعام التى أمامها . وأحست أن ذلك ليس كافيا ؛ إنها تريد أن تفرّ من المكان فنهضت وراحت تلملم ما على المائدة من صحاف وشوك وسكاكين لتختفى قليلا فى المطبخ حتى يسكن روعها .

وأسرع سامى يضع على المائدة صحاف الموز والبرتقال ، فلما عادت زينب ورأت ذلك قالت :

ـــ تحلو بالرز بلبن قبله ؟

فقالت أم جلال :

ـــ كفايه كده .. الخير كتير .

فعادت زينب إلى مكانها ، وكأنما أرادت أم جلال ألا ينتهى الغداء دون أن تنغز زينب ، فقالت :

ـــ سايبه نفسك كده ليه يا ست زينب ؟ مش شايفه إنك زدتى كتير !

وأحست زينب لسع نقدها يشويها ، إنها كانت تزهو برشاقتها .. وها هى ذى حماة ابنتها التى شد جلدها على عظمها تسخر منها . وضاقت زينب بتلك السخرية ولكنها كتمت غيظها وأمسكت لسانها .

وقال مصطفى علوان مداعبا :

ـ ما هو اللى ياكل الأكل ده لازم يسمن .

ورأت زينب الفرصة سانحة لتسخر من حماة ابنتها فقالت :

ـ فيه ناس الأكل ما طرح ما يسرى يمرى ، وفيه ناس زى العرسه تاكل وتنسى .

وظهر الغيظ فى وجه الحماة ، ولم تر منفسا له إلا أن تنهض وتغادر السفرة ، فإذا بالجميع ينهضون ويخرجون إلى الصالة وزينب تسأل كلا منهم :

ـ قهوه ولا شاى .

وجلسوا يشربون القهوة ويتسامرون ، ونظر شفيق فى ساعته وقال :

ـ ماتش الكوره .

فنهض حسين وضغط على زرار التلفزيون ، وبعد لحظات ظهرت الصورة كشريط فى منتصف الشاشة فقال حسين فى فزع :

ـ إيه ده ؟ مين اللى عمل كده ؟

فقالت سوسن ، جهاز الإذاعة المنزلية :

ـ مراد عمله سكوب .

وقال جلال :

ـ بسيطه .. زرار من ورا يعدل الصوره .

ونهض جلال ليصلح التلفزيون وإذا بشفيق يقول له :

ـ إيه رأيك يا جلال نروح النادى نتفرج ع الماتش .. أنا ونبيله وانت

وأحلام .

فصاح عاطف :

ـــ وانا .

وإذا بزينب تقول :

ـــ لا والنبى ، بلاش أحلام ، بلاش تتمخمض اليومين دول .

٦

انقضى الليل وزينب تتقلب فى فراشها لا تغمض لها عين . إن قول حماة ابنتها « سايبه نفسك كده ليه يا ست زينب ؟ مش شايفه إنك زدتى كتير » يلهب عواطفها ويخز روحها وخزا أليما . إنها تستشعر أن جسمها قد امتلأ وأنها فقدت كثيرا من رشاقتها ولكنها ما كانت تظن أنه سيأتى ذلك اليوم الذى ستكون فيه بدانتها موضع سخرية ، وما خطر لها على قلب أن تصبح هدفا لهزء حماة ابنتها .

حاولت أن تغمض عين أفكارها عن ذلك القول إلا أن الصوت الهازئ كان يفح فى أعماقها فحيح الأفعى ، وصورة المرأة قد انفرج فمها عن ابتسامة صفراء لم تنثن عن مرقدها . إنها باتت تتعجل النهار لترى رأيها فى هذه السمنة وتعمل على إزالتها .

وأحس حسين تقلبها ذات الشمال وذات اليمين فطار النوم من عينيه ولم يشأ أن يحادثها لعلها تنام ؛ ولما وجد أنها مستمرة فى قلقها قال لها :

ــ مالك يا زينب قلقانه ليه الليله دى ؟ بتفكرى فى إيه ؟

وهمت بأن تفضى إليه بحقيقة ما يشغلها ولكنها وجدت أن الأوفق أن تصبر حتى تجد الحل لمشكلتها ، فقالت لتفر من هواجسها :

ــ بفكر فى أحلام .. بتتوحم على تفاح .

بتفكرى فى أحلام واللا فى نفسك .

ودق قلبها فى صدرها خوفا . ترى هل استشف من قلقها شيئا ؟ وسرعان ما انقشع ذلك الخوف لما قال لها :

ــ خايفه تبقى جده ؟

ــ جده ؟! هو عشان ما اتجوزت صغيره ، حلوه دى .. أنا طول عمرى ح ابقى ماما زوزو وانت بابا حسين .

وراح يداعبها وهو يقول :

ــ أنا جدو حسين .

ــ لأ والنبى ما تقولش كده لاحسن بيتهيأ لى إنك بقيت راجل مكركب وماشى على عصايه .

وأشرقت الشمس وأسرعت سوسن إلى الحمام وأغلقته خلفها . وجاء سامى وعلى كتفه الفوطة وراح يفتح باب الحمام ، فلما علم أن سوسن بداخله قال متأففا :

ــ هو احنا خلصنا من نبيلة طلعتى انت لنا ؟

وكانت زينب فى طريقها إلى المطبخ ، فلما سمعت قوله قالت :

ــ والله هى اللى ا ستريحت من وشك .

فقال سامى فى استسلام :

ــ يا فتاح يا عليم .

وسمع طرق الحذاء على الباب فصاحت زينب :

ـــ مراد ، افتح لاخوك الباب .

وقام مراد يتمطى ، فانلته قد خرجت من تحت بنطلون البيجاما وتدلت من الجاكتة ، وذهب إلى الباب وهو بين النائم واليقظان وفتحه فإذا بعاطف يدخل مهرولا ويقول :

ـــ جبت بيضتين من عند الفراخ .

فخرجت زينب من المطبخ وقالت فى إنكار :

ـــ بس ؟

فقال عاطف يفسر لها السر :

ـــ ولقيت فى العشه قشر كتير .

ونادت زينب فى غضب :

ـــ مراد .. سوسن .

وخرجت سوسن من الحمام وذهبت إلى حيث كانت أمهـا فى الصالة ، وجاء مراد وهو يسبل عينيه كأنما يخشى أن يستيقظ ، وقالت لهما الأم :

ـــ مين فيكو اللى طلع شرب البيض ورمى القشر ؟

فقال مراد فى بساطة :

ـــ أنا .

ـــ تبقى حرامى .

ـــ لأ ما ابقاش حرامى ، أنا شربت نصيبى ، ولا يعنى يطلع عاطف كل يوم يلهف البيض وحده .

فقالت زينب لتنهى الموضوع :

ـــ أنا ح اجيب قفل للعشه .

ووضعت صينية على مائدة الصالة عليها علب الجبن والزيتون والحلاوة الطحينية ، ووضع إلى جوارها خبز فجاء الأولاد يأكلون . راح سامى يتناول إفطاره فى عجلة وهو واقف وفى يده كتاب يقرأ فيه فقالت له الأم :

ـــ ما تقعد تاكل يا سامى ، واللا عايز الأكل ينزل فى رجليك ؟

فابتسم سامى ابتسامة خفيفة ساخرة ، ثم انصرف فقالت له الأم :

ـــ باقول لك اقعد مش باقول لك امشى .

وجاء عاطف وفى يده بيضة سلقها وراح يقشرها ، فلما انتهى منها خطفتها سوسن ودستها فى فمها فراح عاطف يصرخ ويبكى ، فجاء أبوه وقد ارتدى ملابسه وقال له :

ـــ بس بلاش عياط .

فاستمر عاطف يبكى ويشير إلى فم سوسن :

ـــ البيضه .. البيضه ..

ـــ طب اسكت وخد قرش .

فكف عاطف عن البكاء ومد يده وقال :

ـــ هات .

وأخذ عاطف القرش واندفع خارجا ، وانصرف الجميع و لم يبق فى الدار غير زينب فذهبت إلى الشرفة ووقفت ترقب شرفة جارتها ، فلما

لمحتها حيتها ثم دار بينهما حوار ، قالت زينب :

ــ مش عارفه اعمل إيه ؟ ما باكلش وعماله اتخن .

ــ خسسي روحك .

ــ يا ريت ! بس ازاى ؟

ــ فيه صابون بيخسس ..

ــ هو فين ده ؟

ــ فى بلاد بره ولسه ما جاش .

ــ يعني ح استنى لما ييجى .

ــ لأ ياختى ، فيه حبوب بتخسس فى شارع الشواربى بس غاليه موت .

و لم تنتظر . انسلت من الشرفة وانطلقت إلى شارع الشواربى . وعادت إلى البيت وراحت تخلع ملابس الخروج ، وإذا بجرس الباب يدق دقا مستمرا . إن إصبعا ضغطت على الزر و لم ترتفع عنه فصاحت فى ضيق :

ــ طيب يا سوسن جايه .. جايه أهه .

وفتح الباب ودخلت سوسن فقالت لها أمها تنهرها :

ــ ميت مره قلت لك ما تحطيش إيدك ع الجرس على طول .

وعادت زينب تستأنف خلع ملابسها وإذا بالجرس يرن فى رفق .

فقالت زينب :

ــ سوسن افتحى الباب ، بابا جه .

ودخل حسين فوجد زوجته تخلع ملابس الخروج فنظر فى دهشة وقال :

— إنتى خرجتى ؟

— خرجت ادور على حبوب التخسيس .

— حبوب التخسيس ؟!

فقالت فى عتاب :

— إنت ما سمعتش أم جلال قالت لى إيه ؟ عصاعيص النقريه بتتمسخر على .. أنا .. أنا لازم اخس يا حسين .

— يا زينب اعقلى .

— أنا اتفقت مع الراجل خلاص ، قلت له يحضر لى الحبوب عبال ما اجيب له الفلوس .

فقال فى سخرية :

— وكام الفلوس دى ؟

— الكورس بعشره جنيه .

فقال وهو يخلع كرافتته فى غيظ :

— وح تخدى كام كورس ؟

— سته بس يا حسين .

— يعنى ح ادفع ستين جنيه عشان تخسى ، ويا تخسى يا متخسيش !

فقالت فى صوت فيه نحيب :

— يعنى مستخسر فىّ ستين جنيه بعد العشره الطويله دى كلها ؟

ـــ لأ مش مستخسرهم .. بس أجيبهم منين ؟

ـــ استبدل لى جنيه من المعاش .. اشمعنى استبدلت لأحلام .

وارتفع صوت حسين ، قال فى انفعال :

ـــ أستبدل لك جنيه ؟ لما جوزت أحلام قلت فى الطلب إنى ح اجوز بنتى ، أقول إيه فى الطلب بتاعك ؟ أقول عايز استبدل جنيه عشان أخسس مراتى ؟!

ووصل صوت الأب إلى مسامع سوسن فجاءت ووقفت تسترق السمع ، سمعت أباها يقول :

ـــ ده كلام فاضى .. دى قله عقل .

فقالت زينب وهى تبكى :

ـــ ده جزائى .. دى آخر عشرتى معاك .

وتركت الغرفة غاضبة وقد تركت دموعها تسيل على خديها دون أن تحاول أن تكفكفها ، واندفعت كالعاصفة إلى غرفة البنات وأغلقت الباب خلفها فى عنف .

ودخلت سوسن على أبيها وقالت له :

ـــ إنت طلقتها خلاص ؟

فارتسمت ابتسامة كبيرة على وجه حسين .

٧

جلست زينب ترفو جوارب أبنائها وتحاول أن تتبع الرواية التى كانت تجرى أحداثها على شاشة التلفزيون ؛ وجلست سوسن تتابع الفيلم باهتمام ، وراح عاطف يقول فى ضيق :

ــ ما تخلصونا بقى ح تفلقونا على إيه ؟ ما احنا عارفين فى الآخر تتجوزوا .

وقفت الأم عن رفو الجورب الذى فى يدها وقالت :

ــ وطى حسك ، سامى ومراد بيذاكروا .

فقال عاطف فى صوت خافت :

ــ ماما . هى كل الروايات لازم يتجوزوا فى آخرها ؟

ــ مش كلها يا عاطف .

وجاء الأب يشارك أبناءه جلستهم ، فلما رأى سوسن أمام التلفزيون قال لها :

ــ إنتى مش ح تذاكرى يا سوسن ؟

فقالت دون أن تلتفت إليه :

ــ لما تخلص الرواية يا بابا .

فلما هبطت الدرج أغلقت زينب الباب خلفها فى نرفزة ودخلت تقول :

ــــ بنات آخر زمن . جياله لغاية هنا برجليها .

وراحت تقلدها فى مبالغة وهى تتماوج :

ــــ سامى موجود يا تانت ؟ قال تانت قال ، إحنا ما كناش بنات !

ونهضت سوسن فقد سنحت لها فرصة نقل خبر ، وانطلقت إلى حيث كان سامى وقالت له :

ــــ واحده جت سألت عليك ، ماما قالت لها مش موجود .

وألقى سامى الكتاب الذى كان فى يده فى غضب وخرج إلى حيث كانت أمه ، وسوسن خلفه مبتهجة تقفز من الفرح قفزا ، ترقب فى سرور ما ستسفر عنه المشادة المرتقبة ، وقف سامى أمام أمه وقال :

ــــ حد سأل على ؟ .

فقالت أمه دون أن ترفع عينيها عن الجورب الذى كانت ترفوه :

ــــ سامى ، أنا مش عايزه المسخره دى تحصل تانى .

ــــ مسخرة إيه ؟

ــــ إزاى مقصوفة الرقبة دى تيجى لغاية هنا تسأل عليك ؟

ولاحظ الأب أن سامى سينفجر فى أمه فقال ليخمد النار المتأججة فى صدر ابنه :

ــــ واحده اسمها جيهان سألت عليك .

ــــ وما ندهتوليش ليه ؟

فقالت الأم فى انفعال شديد :

ـــ هو اللى كان ناقص .

ـــ إيه هو اللى كان ناقص ؟ دى زميلتى فى الفصل زى ما نبيله لها زملاء رجاله فى الفصل .

فهبت الأم ثائرة كأنما جرح كبرياءها وقالت :

ـــ ما تقولش كده .. أنا بنتى مؤدبه ؟

ـــ ومن قال إن جيهان مش مؤدبه ؟

ـــ لو ماكانتشى بجحه ما كانت جت برجليها لغاية هنا .

ـــ فيها إيه لما جت لغاية هنا ؟ هو ده مش بيت محترم ؟

وأحست زينب أنها ستهزم إذا ما استمر الحوار فالتفتت إلى زوجها وقالت :

ـــ ما تشوف ابنك يا حسين !

فالتفت حسين إلى سامى وقال :

ـــ روح ذاكر يا سامى ، حصل خير .

فقال سامى وهو ينصرف :

ـــ تكدبوا وتقولوا إن انا مش هنا وبعدين تقولوا حصل خير !

وغاب سامى فى غرفته فقالت زينب لزوجها :

ـــ والله ما ح يخسرهم إلا تطريتك دى ، يا راجل خليك حمش مره .

وكأنما لم يعجبه كلامها فانسحب إلى غرفة النوم ، فقامت زينب خلفه وراحت تقول :

ـــ أنا عايزه أعرف اللى بينه وبينها ؟

فقال حسين فى هدوء :

— ح يكون بينه وبينها إيه ؟ زميلته فى الجامعه وبينه وبينها صداقة بريئة .

فقالت فى غيظ وقد أخذت ثوبها عند صدرها بين أصابعها وراحت تهزه :

— بريه . بريه ! قال صداقه بريئه قال .. هو فيه فى الدنيا دى صداقه بريئه ؟!

— عيبك إنك دايما تسيئى الظن بالناس .

— لأ ... نحط الكبريت جنب البنزين ونقول صداقه بريئه ، يا راجل فوق بقى ، اسألنى أنا دا كله تحت باطى .. ح ييجى واد مفعوص زى ده ع الآخر وياكل بعقلى حلاوه .

— اسمعى نصيحتى يا زينب ، إن جت سألت عليه مره تانيه قولى لها اتفضلى .

فقالت ساخرة :

— وادخلها على فين ؟ على أودة النوم ؟!

وأعرض عن قولها واستمر فى حديثه قائلا :

— مش أحسن لما يتقابلوا قدامنا من إنهم يتقابلوا من ورانا ؟

— وايش عرّفك انهم مش ح يتقابلوا من قدامنا ومن ورانا .

— بلاش كلام فارغ ، إذا عرفوا إننا بنثق فيهم مش ح يكدبوا علينا .

فقالت فى تهكم :

ـــ اسم الله يا بتثق . فوق يا خويا فوق دا جيل يعلم به ربنا .

وخرجت إلى حيث كانت سوسن وعاطف وكانا يتابعان الفيلم .

فلما رأت سوسن أمها اتجهت إليها وقالت :

ـــ ماما .. إزاى واحده ست تحبل من غير ما تتجوز ؟

فقالت زينب فى فزع :

ـــ اخرسى يا قليلة الأدب .

وأرادت سوسن أن تنفى عن نفسها ما أغضب أمها فقالت :

ـــ أنا مالى ، التلفزيون اللى بيقول كده .

ونظر عاطف إلى سوسن وقال لها :

ـــ سيبك من ماما ، تعالى أنا أفهمك .

فهبت زينب ثائرة واندفعت إلى حيث كان حسين وراحت تولول :

ـــ يا خرابى .. يا خرابى .. جيل آخر زمن .

٨

وضعت زينب الهدايا التى ستحملها إلى ابنتها نبيلة فى كيس من البلاستيك . لقد زعمت أن ابنتها أوحشتها كثيرا وأقنعت زوجها أن يشترى شيكولاتة وأشياء أخرى فما يليق أن تدخل إلى ابنتها خاوية اليدين . صدق الرجل أن ذهاب زينب إلى ابنتها إن هى إلا زيارة بريئة وما خطر له على قلب ما كان يدور فى رأس الأم .. إنه كان يحب أن يذهب معها إلا أنه كان مضطرا إلى العودة إلى عمله بعد الظهر فنهاية السنة المالية على الأبواب ، وكان عليه أن يقفل حسابات السنة التى تجرى بخطوات واسعة لتصبح فى ذمة التاريخ !

كان يتعجل خروج زينب ليخرج ، ولكن زينب من عادتها أن تتلكأ كثيرا قبل أن تغادر البيت . إنها تعيد ترتيب كل شىء ، تلتقط قصاصات الورق من الأرض ، وتبسط الستائر التى تكون قد جمعت ليدخل النور ، وكانت دائما تعود إلى غرفة النوم بعد أن تصل إلى باب الخروج لتلتقط شيئا نسيته أو تتأكد من أنها أحكمت إغلاق بابها .

وفى أثناء هزها للستائر قال لها حسين :

ـــ ح تروحى لوحدك ؟

فقال عاطف :

ــ أنا ح اروح معاها .

فقال الأب :

ــ مش كنت خدت حد كبير ؟

فراح عاطف يفرد طوله ويشب على قدميه وقال :

ــ طب ما انا كبير اهو .. أنا بقيت راجل .

وابتسم حسين وقالت زينب لعاطف :

ــ ياللا يا راجل .

وفتحت زينب الباب لتخرج ، فقال حسين ساخرا :

ــ ما نستيش حاجه ؟

فدارت زينب على عقبيها وقالت :

ــ فكرتنى .. الجونتى .

وعادت تفتح باب غرفة النوم التى أغلقتها بالمفتاح ، واتجهت لتحضر القفاز وحسين فى الصالة ينفخ ضيقا وعاطف يتململ فى وقفته ، وعادت تحمل الكيس فى يد والقفاز فى اليد الأخرى وذهبت لتخرج ، ولكنها قبل أن تغادر الباب ثبتت طرف حذائها على الأرض ورفعت كعبه والتفتت تنظر إلى ساقها ثم قالت لزوجها :

ــ والنبى يا حسين شوف الشراب معدول .

ــ معدول يا ستى .

ولما اطمأنت إلى حسن هندامها تحركت ، فقال لها حسين :

— خدو تاكسى .

فقالت فى براءة :

— والأتوبيس ماله .. ليه البعزقه اللى ما لهاش لازمه ؟ ما كل الناس بتركب الأتوبيس .

وخرجت زينب وعاطف إلى جوارها مزهوا بنفسه ، وراح حسين يتبعهما بنظره ، وقد كست وجهه موجة إشفاق وسخرية ، إشفاق على نفسه وسخرية من زوجته العاقلة المدبرة !

واندست زينب فى الأتوبيس وانحشرت بين الواقفين وأوقفت عاطف أمامها ، إنه يتنفس بصعوبة من الزحام الذى يضغطه ضغطا .. وأحست زينب بشاب يتحرك خلفها فالتفتت إليه فلم ترتح إلى هيئته ، فراحت تنقل عاطف من أمامها إلى خلفها و لم يكن ذلك أمرا ميسورا . وأصبح أمامها رجل يرتدى ملابس رياضية وقد أمسك العمود الذى تعلق به الواقفون بيد يزين معصمها ساعة ذهبية .

ورأت يد الشاب الذى كان خلفها تتحرك فى خفة وفى حركة خاطفة تخلع الساعة من الرجل الواقف أمامها فصاحت صيحة لا إرادية :

— الساعه ..

فالتفت الرجل الذى سرقت منه الساعة فى سرعة وقبض على يد النشال وفى يده الساعة الذهبية ، وقال له فى وعيد :

— آه يا حرامى !

وراح النشال يستعطف الرجل :

ـــ خلاص يا بيه .. ساعتك معاك .. أنا غلبان وعندى عيال .

ـــ أنا عارف ألاعيبكم ، عارف كل طرق النشل بتاعتكم .

ـــ خلاص يا بيه .. ح تاخد إيه من حبسى ؟ . ح تجوع عيالى .. سيبنى الله يسترك .

فقال الرجل هازئا به :

ـــ مش ح اسيبك إلا لما تورينى نشلتها ازاى من أيدى .

ـــ أمرك يا بيه .. ارفع إيدك زى ما كنت رافعها .

ورفع الرجل يده وأمسك بقبضته العمود الأفقى الذى يتعلق به الواقفون ، وفى خفة خاطفة نشل النشال الساعة وقال وهو يقفز من الأتوبيس :

ـــ نشلتها كدا هوه .

وأطلق النشال ساقيه الريح وانفجر ركاب الأتوبيس يضحكون ، والرجل الناصح غارق فى الخجل .

ودخلت زينب وعاطف على نبيلة ، فوضعت زينب الكيس البلاستيك الذى ملىء بالهدايا على أول منضدة قابلتها ، وراحت تقبل ابنتها التى قادتها إلى غرفة الاستقبال وزينب تقول :

ـــ نقعد هنا يا نبيلة ، هو احنا غرب ؟

وجلستا تتحدثان ، وفيما هما تتحاوران قالت الأم :

ـــ ما جبتيشى لنا حاجه حلوه كده زى أحلام ؟

فقالت نبيلة فى بساطة :

— لأ .. أنا متفقه مع شفيق إننا ما نخلفش إلا لما اخلص الجامعه .

— وليه بقى يا بنتى ؟ ما فى الجامعه ستات كتير مخلفه .

— بيقول لى تروحى الجامعه إزاى وبطنك علو كده .

وتشير بيدها إشارة فيها مبالغة :

— ما ستات كتير بتروح الجامعه وبطنها علو كده .

فقالت نبيلة فى إنكار :

— أروح الجامعه كده ازاى ؟

— يا بنتى البكريه بطنها ما بتبنشى ، وفى الشهور الأخيره البسى هدوم واسعه .

— دا شفيق يقول لى تعملى إيه لو ولدتى فى الامتحان واللا قبل الامتحان بجمعه ؟

— يا ختى دى تلاكيك ، يعنى كان منشن على الامتحان ؟ دا بس هو مش عايز يرتبط بحاجه ، عايز يفضل حر . إن ما ربطهش بعيل مين عارف يمكن يطير .

— يا ماما شفيق مش من دول .

— كلهم يا بنتى من دول .. اسألينى أنا ، أمال أنا خلفت سبعه ليه ؟

— سبعه يا ماما ؟ الأيام دى راحت خلاص .. مين فى اليومين دول بقدر على سبعه ؟ يجيب لهم صحه منين ؟ يجيب لهم فلوس منين ؟

— الصحه ربنا بيديها على قد ما بيدى العيال .. واغلبيه بالعيال يغلبك بالمال .

ـــ كفايه يا ماما واحد واللا اتنين .

ـــ دا الكلام الفارغ اللى بيعلموه لكم اليومين دول .

ـــ مش كلام فارغ يا ماما . كفايه واحد .

ـــ بس هاتى الأولانى وانت نفسك ح تتفتح لهم ، ح تدوق لذتهم .

وراح عاطف يأكل الشيكولاتة التى قدمتها له أخته ، إنه لم يكتف بقطعة أو قطعتين ، لقد ذاق لذتها فانفتحت لها نفسه .

ونهضت الأم لتنصرف فقالت لها نبيلة :

ـــ ما بدرى يا ماما .

ـــ نروح قبل الدنيا ما تضلم علينا .

ـــ استنى شويه زمان شفيق جاى يوصلكم .

تفتح حقبية يدها وتبحث فيها ثم تقول :

ـــ نسيت المشط .

فتلتفت نبيلة إلى عاطف وتقول له :

ـــ هات يا عاطف المشط من أودة النوم .

يدخل عاطف غرفة النوم ويتجه إلى التواليت فلا يجد المشط ، يفتح الدرج فيجد مشطا ويجد فى الدرج مانع للحمل ، يتناول المشط ويدسه فى جيبه ، ثم يأخذ مانع الحمل وينفخه ويخرج إلى حيث كانت أمه ونبيلة وقد امتلأ العازل بالهواء وأصبح فى حجم الباذنجانة السوداء الطويلة .

ورأت نبيلة ما يفعله أخوها فهرولت إليه وخطفت منه العازل فى شدة ورأت الأم ما فعلته نبيلة دون أن تفطن إلى الدافع لها على ذلك فقالت فى

عتاب :

ـــ مالك خضيتى الولد كده على حتت زمارة ؟

وفتح الباب ودخل شفيق ، فتنفست نبيلة الصعداء وقالت :

ـــ أهو شفيق جه .. اقعدى معاه شويه يا ماما .

ـــ معلهش يا بنتى مره تانيه .. اتأخرنا .

ـــ طب شفيق يوصلكم .

فقال شفيق فى رقة :

ـــ اتفضلوا ..

وركبت زينب فى المقعد الخلفى للسيارة وجلس عاطف إلى جوار شفيق وانطلقت السيارة ، فاذا بعاطف يلحظ أن فى مؤخرة السيارة التى أمامهم لوحة كتب فيها (E . T .) فقال لشفيق وهو يشير إلى اللوحة .

ـــ يعنى إيه (E . T .) يا أنكل ؟

ـــ يعنى اوعى تتشعبط .

وضحكت زينب ونظر إليه عاطف عاتبا ، فلما وصلوا هبطت زينب وهى تقول :

ـــ اطلع يا شفيق ما يصحش عمك فوق .

فقال شفيق معتذرا :

ـــ مره تانيه يا تانت .. عندى شغل كتير الليله دى .

وعاد ليجد نبيلة فى الفراش تنتظره ، فراح يخلع ملابسه ثم اتجه يحضر مانع الحمل ، فلم يجده فلما سألها عليه قالت له وهى تضحك :

٩

كانت زينب تغدو وتروح فى قلق ، وكان حسين يذهب إلى الشرفة وينظر وتطول مراقبته للطريق ثم يعود ليدور فى حجرات المنـزل . ونظرت زينب إلى الساعة المعلقة فى الصالة فإذا بها تستشعر أن دقات قلبها تعلو على صوت البندول . و لم تستطع أن تستقر فانطلقت إلى حيث كان زوجها وقالت له :

ــ الساعه بقت تسعه يا حسين ومراد مجاشى من المدرسه .

فخرج سامى من غرفته وقال :

ــ دلوقتى ييجى ح يروح فين ؟

فقالت زينب فى صوت مخنوق :

ــ دا ما تغداشى يا عينى .

فقال حسين ليطمئن نفسه :

ــ تلاقيه اتغدى مع حد من صحابه .

ــ دا ما تعودش يتأخر لغاية الساعه دى .. لو كان راح يلعب كوره كان زمانه جه . ما فيش الا إنه ركب بسكلته وهفه أتومبيل .

وفزع حسين وقال لها :

— يا شيخه افتكرى حاجه عدله ، هو انتى ما تفكريشى فى خير أبدا ؟

فقالت زينب مولولة :

— ح ييجى الخير منين والواد بره لغاية دلوقت .

وأراد حسين أن يفر من تشاؤمها فذهب إلى الشرفة وراح يطل على الطريق وهو قلق ، وطالت وقفته فقلقه أهون من ذلك الوخز الذى يخز روحه كلما تحرك لسان زوجه بالشر .

وراحت الهواجس تعبث به فرأى أن يفر منها إلى زوجته . فدخل فإذا به يسمع زينب تقول لسامى :

— روح يا سامى شوف أخوك فين ؟

فقال سامى فى ضجر :

— أدور عليه فين ؟ فى مصر كلها !

فقالت زينب فى توسل :

— شوفه عند حد من صحابه يا حبيبى .

فقال سامى وهو يولى أمه ظهره :

— هو دا له صاحب واللا اتنين ؟ دى المدرسه كلها صحابه .

وإذا بعاطف يأتى ويتوسط الصالة وهو يقول :

— والمدرسين كمان ، دا قال ..

و لم تدعه أمه يتم حديثه بل دفعته وهى تقول :

— والنبى تغور من وشى دلوقت .

ورأت حسين مقبلا من الشرفة فهرعت إليه وقالت :

ــ روح يا حسين شوفه مرمى فى القصر العينى والــلا فى أى مستشفى .

وظهر فى وجه حسين الذعر وخفق قلبه فى فزع وقال فى ضيق :

ــ ما تفتكرى خير .

فقالت وقد اختنق صوتها بدموع تود أن تنسكب على خدها :

ــ أمال يعنى ح يكون فين لغاية دلوقت .

ودخلت سوسن إلى الشرفة ثم عادت تقفز فرحا :

ــ مراد جه .. مراد جه ..

وارتمى الأب على مقعد قريب واستنشق نفسا طويلا ثم زفره فى راحة ، وإذا بزينب تقترب منه وتقول له :

ــ لما يطلع اشخط فيه ، خوفه مره ، بلاش التطريه دى .

فقال حسين وقد تبخر قلقه ورد إليه طبعه الهادئ :

ــ مش لما نشوف كان فين ؟

وفتحت سوسن باب الشقة وأسرع عاطف ليستقبل أخاه فى منتصف السلم ، فلما قابله قال له متوعدا :

ــ دى ماما ناويالك نيه .

وصعد مراد صامتا ، فلما وصل أمام الشقة استقبلته سوسن وقالت له وقد وضعت يديها فى وسطها وهزت نصفها العلوى يمينا وشمالا :

ــ كنت فين يا اخويا لغاية دلوقت ، دى ليلتك مش فايته .

وأطلت زينب من الباب ومدت يدها وقبضت عليه وجذبته حتى أمسى فى منتصف الصالة وقالت له :

ـــ داير على حل شعرك ، مالكش أهل تقول لهم رايح فين ؟ الساعه بقت عشره ؟ بقينا نص الليل وانت فى الشارع من طلعة النهار .

وأطرق مراد و لم ينبس بكلمة وإن كانت أمه تلكزه فى صدره لتنفس عن الغيظ الذى كاد ينثرها أشلاء ، ونهض حسين وقال لابنه فى رقة :

ـــ كنت فين لغاية دلوقت يا مراد ؟

فقال مراد وهو يستشعر أسى لأنه سبب لأهله كل ذلك القلق :

ـــ واحد صاحبى معاه عربيه قال لى تعال معايا نروح القناطر نجيب حاجه من بيتنا ، قلت له أنا ما قلتش انى ح اتأخر ، قال لى مش ح نتأخر ، ورحت معاه ، واحنا راجعين انقطع سير العربيه ما قدرناش نرجع إلا لما اشترينا سير تانى .

فقالت له أمه :

ـــ لما انقطع السير ما سبتوشى ورجعت ليه ؟

ـــ ما كانش معايا فلوس ، وإن كان معايا فلوس ما كنتش ح اسيبه ، احنا خرجنا سوا لازم نرجع سوا .

فلكزته أمه فى صدره وقالت :

ـــ شهم قوى .

وأراد حسين أن يضع حدا لهذه المشادة فقال :

ـــ طالع لامه .

ونظرت إليهم نظرة فيها سخرية وقالت :

ـــ والله انتوا بتلعبوا .

وقال سامى فى ضجر :

ـــ عايزين نتعشى عشان نذاكر .

فقالت زينب وهى ترمى مراد بنظرة غاضبة :

ـــ البركة فى اخوك اللى سد نفسنا .

وذهبت تعد لهم العشاء ودخل مراد يبدل ثيابه ، وتذكر حقيقة ما كان .. إنه كان مع زميل من زملاء المدرسة حقا وركب معه سيارته حقا وانطلقا إلى القناطر حقا . كان صادقا فى كل ذلك ، أما الشىء الذى أخفاه فهو أن إلى جوار صديقه كانت فتاة ، وإلى جواره فى المقعد الخلفى فتاة أخرى ، وقد قطع شىء حقا و لم يكن ذلك الشىء سير المروحة بل حمالة قميص الفتاة التى كانت تجلس فى المقعد الأمامى إلى جوار صديقه !

ودق جرس الباب فذهب حسين وفتحه ، فإذا بجيهان أمامه تسأله :

ـــ سامى موجود يا أنكل ؟

فقال حسين وهو يفسح لها طريقا :

ـــ أيوه يا بنتى اتفضلى .

ودخلت جيهان فى خطوات ثابتة ، وراح عاطف وسوسن ينظران إليها فى فضول وسرعان ما جرت سوسن إلى حيث كان سامى ، وقالت جيهان :

فإذا به يرد عليها بكل ملامحه وحركات يده ليقول لها : وفيها إيه ؟!

ووقع بصرها على عاطف فراحت تشير له أن يدخل معهما ، فسوسن قد عادت لتجلس أمام التلفزيون . وأطاع عاطف أمه فدخل ، وشمت زينب رائحة شيء يحترق فهرعت إلى المطبخ وأنزلت البيض الذى صار فى لون الفحم ، ثم عادت لتتابع ذلك العبث الذى يجرى تحت بصرها وسمعها .

وخرجت جيهان وإلى جوارها سامى وخلفهما عاطف ، كانت جيهان تحمل نوت المحاضرات التى اقترضتها ، ومدت يدها تصافح سامى وتقول له :

ــ متشكره .

وسارت حتى إذا ما وصلت إلى حيث كان حسين قالت له :

ــ مساء الخير يا عمى .

فقال لها حسين فى صدق :

ــ ما بدرى يا بنتى ، استريحى م السلم .

ــ مره تانيه يا عمى ، بابا مستنى تحت .

فقال حسين :

ــ ما يصحش ، انزل يا سامى وقول له يتفضل .

وتحرك سامى فإذا بجيهان تمنعه وتقول :

ــ ما تتعبش نفسك ، مش ح يطلع .

ــ ليه يا بنتى ؟

— أصل بابا بينكسف .

ولمحت جيهان زينب وقالت لها :

— مساء الخير يا تانت .

ووسعت جيهان خطوها وانصرفت لا تلوى على شيء ، وارتمت زينب متهالكة على مقعد قريب وقالت :

— لو كان بينكسف ما كانشي جاب أم وش عريان دى .

١٠

جلست أحلام تستشعر غبطة فى أعماقها . كانت سعيدة لأنها على وشك أن تحقق رسالة كل أنثى فى الحياة ، وكان جلال مزهوا برجولته رافعا رأسه لكأنما كان أول رجل أنجب ، وكانت زينب متهللة بالفرح فلو أنها قد جاءت بسبعة أبناء إلا أن سرورها بأن ابنتها ستصبح أما كان يفوق كل سرور ملأها .

ورنت زينب إلى ابنتها فى حب وقالت :

ـــ إزيك دلوقت يا أحلام ؟

فقالت أحلام :

ـــ لسه راجعين من عند الدكتور ، قال لى عندك شوية زلال .

وبسطت أحلام ساقها لترى أمها أن بها بعض الورم .

فقالت الأم وهى تشوح بيدها مستنكرة :

ـــ دكتور ؟ دكتور إيه ، أنا خلفتكم كلكم ما رحتش ولا مره لدكتور .

فقال جلال :

ـــ وقال لها لازم تمشى كل يوم .

أول ما تحسى بوجع تيجى ع المستشفى على طول .

فقالت زينب فى فزع :

ـــ مستشفى ؟ مستشفى إيه يا بنى ، ده احنا عمرنا ما دخلنا مستشفى ، طول عمرنا بنولد فى البيت .

فقال جلال فى هدوء :

ـــ الدنيا اتنورت يا تانت .

ولم يعجب ذلك زينب فقالت :

ـــ اتنورت إيه يا جلال ؟ ده محن ستات .

وارتفع صوت التليفزيون حتى كاد يغطى على حديث الولادة ، فصاحت زينب فى غضب :

ـــ بت يا سوسن ! ح توطى صوت التليفزيون ده واللا ح اقوم اطفيهوللك ؟

وأسرعت سوسن وخفضت الصوت ، فعاد جلال يقول :

ـــ فى المستشفى يا تانت استعدادات .

ـــ استعدادات ليه ؟ يا بنى الولاده فيها حاجه ؟ أنا لما ولدت عاطف قمت بعدها على طول وغسلت كوم غسيل قد كده وطبخت العشا ، واللا كنت ح اسيبهم من غير عشا ؟

ـــ ما كانش البكرى يا تانت .

فالتفتت إلى ابنتها وقالت :

ـــ والله ما ولدت ولاده أسهل من ولادة أحلام ؛ الفلوس اللى ح

نحطها فى المستشفى نعمل بيهم سبوع نفرح ونفرّح الجيران .

ــ ما تولد فى المستشفى ونعمل السبوع برضه .

ولم يعجب زينب رأيه فقالت :

ــ أنا واحده صاحبتى ولدت فى المستشفى ، أول ما شافت ابنها عضته فى كفه ، والعجيبه إن تانى يوم جابوه لها هو بعينه .

فقال جلال معقبا على زوجه :

ــ وإيه العجيبه فى كده ؟

فقالت أحلام لتجد مبررا للولادة فى بيت أمها :

ــ بيقولوا الأولاد بتتبدل فى بعض .

وأسرعت زينب تشد أزر ابنتها قالت :

ــ أنا ما طقشى ضنايا يبعد عن عينى ثانيه .

ودخل عاطف ورأى أمه قدمت بعض الحلوى لأخته وزوجها فمد يده ليتناول منها ، فإذا بأمه تقول له :

ــ عيب يا عاطف .

فقال جلال وهو يقدم قطعة حلوى إلى عاطف :

ــ سبيه يا تانت .

فقالت زينب وهى ترمى ابنها بنظرة شزراء :

ــ بعدين ياخد على كده .

ــ ما فيش حد غريب .

ــ ما الخوف ليعمل كده قدام الغرب .

وقالت لعاطف :

ــ امشى العب تحت .

فقال عاطف :

ــ طب هاتى قرش .

وأخذ القرش ومر إلى جوار سوسن وهى تتبع الإعلانات فى التلفزيون فرماها بنظرة هازئة ، ثم اتجه إلى الباب وما إن فتحه حتى ارتطم بأبيه فقال له أبوه :

ــ بتجرى كده على فين ؟

فقال فى فرح من قام بمعجزة :

ــ رايح اضيع ، خدت منها قرش .

ودخل أبوه فلما لمح أحلام وجلال صاح مرحبا :

ــ أهلا جلال ، أهلا أحلام .

وجلس وظهر على جلال الارتياح ورأى أن يشركه فى الحديث ، كان واثقا من أن حماه سيقف إلى جواره ولن يخذله قال :

ــ كنا بنتكلم فى موضوع ولادة أحلام ، أنا رأيى انها تولد فى المستشفى ورأى تانت إنها تولد هنا .

فقال حسين فى بساطة :

ــ أنا ماليش رأى ، الرأى لأحلام .

وكأنما وجدت أحلام أنها تستطيع أن تفصح عن رغبتها دون أن يثور زوجها ما دامت فى حمى والديها فقالت :

ودخل الأب يخلع ملابسه . وفى أثناء عودة زينب مرت بسوسن فإذا بسوسن تعترض طريقها وتقول لها :

ــ ماما .. أنا عايزه استعمل اللولب .

فلكزتها أمها فى صدرها ثم وضعت يدها على فمها وقالت لها :

ــ ح اقطع لسانك .

فقالت سوسن فى براءة :

ــ وانا مالى ، ما التلفزيون بيقول استعملوا اللولب .

ــ قطيعه تقطعك وتقطع التلفزيون . لمى لسانك قبل ما اهرسك برجليه .

و لم تخف سوسن و لم تدخل لسانها فى حلقها ، كان هناك شيئا تريد أن تعرفــه فقالت فى هدوء :

ــ يعنى إيه اللولب يا ماما ؟

وراحت زينب تتلفت فى حيرة ، إنها تحس أنها وقعت فى فخ فلم تجد لها منفذا إلا أن تنهر ابنتها ، فقالت لها :

ــ يعنى اتكتمى بقى وريحينى من غلبتك دى .

١١

دق جرس الباب فهرعت سوسن تفتح فإذا بسامى وجيهان يدخلان وإذا بدهشة عريضة ترتسم على وجه الأم ، وقالت جيهان فى هدوء :

ــ مساء الخير .

فقال حسين دون أن يظهر فى وجهه أى انفعال :

ــ مساء النور .

ورمقته زينب فى استغراب كيف أن ما يراه لا يثير غضبه ولا يجعل الدم يفور فى عروقه ؟ إنها همت بأن تعترض على ابنها الذى خدش حرمة البيت الذى كان فى قدسية الجوامع قبل أن يدنسه الجيل الجديد بتصرفاته الوقحة الحمقاء ، إلا أن حسين نظر إليها نظرة حازمة شلتها عن كل حركة وإن لم تخمد النار المتلظية فى أحشائها ، وقال سامى قبل أن يدخل غرفته خلف جيهان :

ــ اعملى لنا شاى والنبى يا ماما .

وكاد ذلك يفجر ثورتها وإذا بحسين يقول فى حزم :

ــ اعملى لهم شاى يا زينب .

وفطنت الأم بغريزتها إلى أنها إذا ثارت فسيقف الأب إلى جوار ابنه ،

فرأت أن خير ما تفعله ألا تثير زوبعة فى غير أوانها وأن ترصد الريح حتى إذا ما كانت معها أثارتها عاصفة لا تهدأ حتى تقتلع ذلك الخطر الذى يهدد أمن بيتها .

والتفتت إلى مراد وقالت له :

ـــ اعمل لهم الشاى .

ودارت على عقبيها لتنسحب بعيدا لتعبر عن استيائها ، وقبل أن تغيب فى حجرتها قالت :

ـــ ادخل يا مراد ذاكر معاهم .

ورفت بسمة هادئة على وجه حسين وأراد أن يلحق بزوجته يحاورها ، فقال لسوسن وعاطف اللذين كانا جالسين أمام التلفزيون :

ـــ مش كفايه بقى وروحوا ذاكروا .. أفتكر لو امتحنوكوا فى برنامج التلفزيون تاخدوا عشره من عشره .

فقالت سوسن :

ـــ والنبى ح اذاكر يا بابا لما تخلص الروايه دى .

وانسحب حسين وذهب إلى حيث زوجته فألفاها تضع يدها على خدها فقال لها :

ـــ مالك ؟

ـــ عاجبك اللى حصل ده ؟ عاجبك يجيبها لغاية هنا واحنا قاعدين نتفرج ؟

ـــ ما هى معاه طول النهار فى الجامعه .

فقالت وإن أحست أن منطقها قد يهتز :

ــ هناك ناس كتير .

ــ وهنا أهم تحت عنينا والباب مفتوح .

ــ بس اشمعنى البت دى ؟

ــ زميلته ، فيها إيه لما اتنين يذاكروا مع بعض .

ــ وليه ما تذاكرش مع بنت زيها وهو يذاكر مع ولد زيه ؟

ــ وفيها إيه لو ذاكرت بنت وولد ؟

فقالت وقد نهضت غاضبة :

ــ يا نارى ، فيها كتير يا سى حسين ، فيها كتير قوى واللا انت نسيت ؟

ولمعت عيناه ووأد بسمة أرادت أن تولد على شفتيه . فقد كان يلذ له الحوار الذى يدور بينهما وإن أصابه بعض رذاذ لسانها . وراحت تغدو وتروح فى غضب ، ووقفت فجأة فقد أنارت فكرة فى ذهنها فقالت :

ــ ما هى نبيلة فى الجامعه ، تقبل إن نبيله تذاكر مع زميل لها فى بيته أو فى بيتها ؟

فقال ببرود :

ــ الموضوع ده ما بقاش يخصنى ..

ولم تحتمل ذلك القول فقالت فى غضب :

ــ أمال يخص مين ؟

ولم يخرجه غضبها عن هدوئه قال :

ــ يخص شفيق .

ولمحت سامي يخرج بصينية الشاى ويذهب بها إلى المطبخ ثم يعود ويغلق الباب خلفه ، فدارت على عقبيها وقالت حانقة :

ــ أهو الباب اتقفل يا سى حسين ، أنا ما اطقشى كده .

وذهبت وفتحت الباب وإذا بسامى وجيهان منهمكين فى المذاكرة ، فرفع سامى رأسه وقال فى صدق :

ــ اقفلى الباب من فضلك يا ماما ، صوت التلفزيون بيشوش علينا .

و لم تجد مفرا من إغلاق الباب فإذا بها تغلقه فى هدوء وإن لاح فى وجهها الضيق وارتسمت فيه الهزيمة ، ودارت على عقبيها فألفت حسين واقفا يرقبها ، فلما رآها حانقة تغادر المكان منكسرة ارتسمت على شفتيه بسمة عريضة .

وعاد الزوجان إلى غرفتهما ، وأراد حسين أن يحول الحديث إلى ناحية أخرى فقال وهو يفحصها بعينيه :

ــ يعنى خلصتى الكورس ولا خستيشى .

وأخذت ، لم تكن تنتظر أن يحاسبها زوجها أو يثير مرة أخرى ذلك الموضوع فارتبكت وقالت :

ــ لأ خسيت .

ــ مش باين عليكى .

فقالت وهى تتحاشى نظراته :

ــ خسيت اتنين كيلو .

— يعنى استبدلت جنيه من معاشى عشان تخسى اتنين كيلو ؟!

ورأت أن خير ما تفعله أن تتملقه .. إنها أنفقت ستين جنيها دون جدوى ، أرغمته بدموعها على أن يستبدل من معاشه جنيها فقالت وهى تدنو منه وتداعبه :

— أخس ازاى وانت مهنينى ومريحنى على الآخر ؟

ولم يشأ أن يقسو عليها أكثر من ذلك فقال لها :

— فداكى مش ستين فداكى ستمايه .

وأثلج ذلك صدرها وأطمعها فيه فقالت له :

— أنا مهدود حيلى طول النهار ، والنبى يا حسين تروح تغسل فناجين الشاى اللى خرجت من عند ابنك .

واستراح حسين . إنه استطاع أن يكبح جماح ثورتها بل روضها وجعلها تقبل الأمر الواقع . فإن كان سيغسل فناجيل الشاى فذلك أهون من تعب نفسه وتحطيم أعصابه ، ونهض وسار إلى المطبخ وراح يغسل ما فى الحوض إذا بسوسن تقبل وتقول له :

— عايزين ناكل .

— تاكلوا إيه ؟

— ناكل بيض .

وانهمك فى إعداد العشاء ثم حمله إلى غرفة الطعام ونادى أولاده ، وجاءت زينب فقال لها وهو يرمق الغرفة التى فيها سامى وجيهان :

— مش ندخل لهم عشا ؟

فقالت فى امتعاض :

ـــ يا خويا .

و لم يشأ أن يوقظ الفتنة النائمة فسكت وراحوا يأكلون حتى إذا ما أتوا على ما أمامهم التفتت سوسن إلى أمها وقالت :

ـــ ح نحلى إيه ؟

وهرعت إلى حيث العلبة وفتحتها فإذا بها تجد فيها قطعة شيكولاتة وقطعة ملبن ، فأخذت لنفسها الشيكولاتة وقدمت الملبن لعاطف وهى تقول لمراد .

ـــ مش الملبن أحسن من الشيكولاتة ؟

فقال مراد فى خبث :

ـــ ما اقدرش اقول إلا لما أدوق .

وقدمت سوسن إليه الشيكولاتة فقضم قضمة وقدم إليه عاطف الملبن فقضم قضمة ثم قال :

ـــ الاتنين حلوين ، ما وحش إلا قلتهم .

وغادروا غرفة الطعام إلى الصالة فإذا بالباب المغلق يفتح وتخرج منه جيهان ومن ورائها سامى ، والتفتت جيهان إلى سامى وقالت :

ـــ أنا ذاكرت عندك النهارده ، انت تذاكر عندى بكره بقى .

وحيت من فى الصالة ثم انصرفت وسامى معها ليوصلها ، وما أن أغلق الباب خلفهما حتى قالت الأم فى سخرية :

ـــ تعال يا ابويا شوف ، قال كان يسود عيشتى إن عرف إنى فتحت

شباك ، قال شباك قال ..

وقال عاطف معجبا بذكائه :

ــ مش مذاكرة سامى مع جيهان ح تنتهى بالجواز .

فقالت له الأم غاضبة :

ــ إيه الكلام الفارغ اللى بتقوله ده ؟

و لم يعجبه أن تعترض أمه على قوله وأن تنهره فقال :

ــ مش كل روايات السينما تنتهى بالجواز .

١٢

كانت سيارة تنطلق وقد جلس شفيق خلف عجلة القيادة وإلى جواره نبيلة ، وجلس جلال فى المقعد الخلفى وإلى جواره أحلام . كانت السعادة ترفرف على الجميع وكان الحديث بينهم يسرى رخاء كالنسيم وإذا بالسيارة تهتز فى عنف . لم يكن الطريق ممهدا إذ كانت به حفر من أثر مد مواسير أو من أثر شيء آخر ، فالظاهر أن رجال المرافق ينقبون فى جوف القاهرة عن كنز دفين .

وارتفع جلال فى الهواء ، ولما استقر مرة أخرى على مقعده قال وهو ينظر إلى بطن أحلام :

ــ حاسب على الولد .

ــ وإيش عرفك إنه ولد ؟

فقالت نبيلة مداعبة :

ــ أحلام ح تجيب بنت وبنت وبعدين ولد زى ماما .. دايما البكريه تجيب زى امها .

فالتفت شفيق إلى زوجته وقال :

ــ تلاته مره واحده ، حد يقدر يصرف على تلاته فى اليومين دول ؟

فقالت أحلام فهى معجبة دائما بأبيها :

ــ أمال بابا يعمل إيه ؟

فقال شفيق فى حماس :

ــ باباكى ده يستحق تمثال .

فقال جلال :

ــ عاش ليكو حرم نفسه من كل شيء وما حرمكوش من حاجه .

فقاطعه شفيق :

ــ لأيا عم أنا عايز أعيش لنفسى .

فقالت أحلام فى إنكار :

ــ يعنى مش ح تخلف ؟

فوضع ذراعه خلف نبيلة فى حب وقال :

ــ أنا متفق أنا ومراتى إننا ما نجبش عيال قبل ما تخلص الجامعه ، يعنى لسه قدامنا تلات سنين كمان .

فقال جلال :

ــ الكلام ده إن شدت حيلها ومشيت على طول .

فقال أحلام :

ــ طول عمر نبيله واخده بالها من نفسها ، مش عايزه تروح الجامعه وبطنها سابقاها .

فقال جلال :

ــ مش شايف إن فيها حاجه إنها تبقى حامل وتروح الجامعه .

فقال شفيق :

ــ فيها حاجه بالنسبه لى أنا .

فقال جلال :

ــ فيها إيه ؟

ــ إن جبت عيل يبقى لازم أبيع العربية على طول ، ما اقدرش ساعتها أصرف على بيتين .. العيل والعربيه .. وانا العربيه أحسن لى دلوقت .

وكانت السيارة قد وصلت إلى مكان هادئ من كورنيش النيل فوقف شفيق ونزل من السيارة وفتح الباب الخلفى ، فنزلت أحلام ثم جلال ، وكانت نبيلة قد نزلت ووقفت تنتظرهما فلما أصبحوا جميعا على الرصيف قال جلال لأحلام وأختها :

ــ ح تتمشوا قد إيه ؟

فقالت أحلام :

ــ نص ساعه .

ــ طب احنا ح نستنى هنا .

وراحت أحلام ونبيلة تمشيان الهوينا على كورنيش النيل . كانت الشمس تنحدر للغروب فكان المنظر شاعريا أخاذا يعكس ما فى الطبيعة من جمال على النفوس فأخذت أحلام ونبيلة تتسامران ، وطفق شفيق وجلال يتحاوران ؛ كان شفيق يحسد جلال على أخذه للأمور فى بساطة ويتمنى لو يستطيع أن يكون مثله راضيا ولكنه قلق على الدوام يحس أن بينه وبين الدنيا خصاما .

وقبل أن يمر الوقت الذى حدداه عادت أحلام ونبيلة والعرق يتصبب من نبيلة وقد بدا عليها الإرهاق ، فهرع إليها شفيق وقال :

ــ مالك ؟

فقالت أحلام :

ــ يا دوب مشينا شويه لقيتها داخت ، قعدتها لغاية ما فاقت .

فقال شفيق :

ــ ياللا نروح عشان نستريح .

فقال جلال :

ــ من رأيى نعرضها على دكتور ؟

فقالت نبيلة فى تخاذل :

ــ أنا كويسه دلوقت .. ما فيش لازمه .

فقالت أحلام :

ــ نشوف دكتور أحسن ؟ .

وركبوا وانطلقوا إلى عيادة دكتور يعرفه جلال ، فلما فحصها خرج إلى المنتظرين فى الخارج وقال لهم :

ــ مبروك .. الست حامل .

وظهرت دهشة كبيرة على وجه شفيق ، وقالت أحلام فى ارتياب :

ــ حلوه دى .

وقال جلال لشفيق ساخرا :

ــ مبروك .. روح بيع العربيه .

وظل وجه شفيق مسودا وهو كظيم ولولا بقية من حياء لعض أنامله من الغيظ . وخرجت نبيلة ، ولما رأت زوجها قرأت فى وجهه الحزن فسارت مطرقة وإن كانت تفكر فى العاصفة التى ستهب إذا خلا كل منهما بصاحبه .

وعادوا إلى السيارة صامتين وانطلقت بهم وهم فى شرودهم ، وظل شفيق ونبيلة يغشاهما وجوم حتى إذا ما أغلق عليهما باب شقتهما انفجر شفيق فى غيظ :

— عاجبك كده .. ده اللى اتفقنا عليه ؟

فقالت فى تخاذل :

— وانا كنت اقدر اعمل إيه ؟

— كنتي تقدرى تعملى كتير .. أنا كنت حاسس ليلة ما وصلت أمك ورجعت انك بتغشينى ، ليه عملتى كده ؟ .. ليه غشتينى ؟ ..

وأطرقت نبيلة ولم تنبس بكلمة ، وراح شفيق يعمل فى سرعة فدنا منها وقال :

— لكن معلش ، ملحوقه .. اللى فى بطنك ده لازم ينزل .

فشدت نبيلة قامتها وقالت فى تحد :

— مستحيل .

فقال لها فى حزم :

— أنا مش ح اسمح لك إنك تحطمى كل اللى بابنيه ، مش ح اسمح لك إنك تضيعى مستقبلى .. اختارى بينى وبينه .

فقالت نبيلة فى إصرار :

ـــ مش ح انزله أبدا .. أبدا .

فقال فى انفعال شديد :

ـــ خلاص .. إنت حره .

١٣

كانت زينب تستشعر قلقا لا تدرى مصدره وانتابتها هواجس ، فأرادت أن تشرك الآخرين فى مشاعرها فقالت :

ــ اللهم اجعله خير .. عينى الشمال بترف .

فقال لها حسين الذى كان يساعد سوسن على حل واجباتها :

ــ روحى حطى فيها قطره .

وجاء سامى وقال لها :

ــ لما تيجى جيهان ابقى هنيها يا ماما .

فقالت له أمه فى ضجر :

ــ يا بنى ابعد عنى دلوقت ، باقول لك عينى الشمال بترف .

فقال سامى نافد الصبر :

ــ هو أنا باقولك حاجه وحشه ، باقول لك لما تيجى جيهان ابقى هنيها .

ــ اهنيهاعلى إيه ؟

ــ على إنها اتخطبت .

ولفت الحوار نظر حسين فترك سوسن واقترب يرهف السمع ، سمع

زوجته تقول :

ــ ولما اتخطبت ح تيجى ليه ؟

ــ ح تيجى تذاكر .

فقالت زينب فى دهشة :

ــ وخطيبها عارف إنها ح تجيلك ؟

ــ عارف إنها ح تيجى تذاكر .

فالتفتت فرأت زوجها فقالت :

ــ سامع يا حسين ؟ خطيبها عارف إنها ح تيجى تذاكر مع ابنك .

فقال حسين فى هدوء :

ــ وفيها إيه ؟

ولم تحتمل ذلك ولم تستطع أن تتصوره فقالت فى غيظ :

ــ يا خواتى رجالة إيه دول ؟ رجالة آخر زمن .. رجاله قش .

والتفتت إلى سامى فى شك وقالت :

ــ ما تقول يا بنى .. إنت راجل واللا إيه ؟

وأحس سامى أن كرامته قد جرجت فقال :

ــ يا ماما انتى من زمن غير زماننا .

فقالت زينب :

ــ الحمد لله إنى من زمن تانى .

وصمتت قليلا ثم قالت :

ــ جوزها ده بيشتغل إيه ؟

— طالب فى الجامعه معانا .

— ولما هو معاكو ما تذاكر معاه .

— ده فى السنة النهائية .

— طيب ما يذاكر لها بدل ما يسبها لك !!

فقال حسن مداعبا زوجه :

— انت طيبه طيبه بس يا خساره .

فقالت زينب فى فزع وتحفز :

— بس يا خساره إيه ؟

— سوء ظنك بالناس .

فالتفتت إلى زوجها وابنها وقالت :

— ده اللى بيجرى فى عروفكم بقى مايه مش دم ، ومايه ساقعه كمان .

ودق جرس الباب فأسرعت زينب وفتحته ، فإذا بها أمام جيهان وجها لوجه وإذا بها تقول لها :

— مبروك .

فيتهلل وجه جيهان بالفرح وتقول :

— الله يبارك فيكى .

وفوجئت زينب بأن جيهان تقبلها فقالت لها :

— والله فرحت لك قوى يا بنتى .

— مرسى يا تانت .

— ده خطيبى .. بيذاكر ، السنه دى آخر سنه عنده ، إن شاء الله

أجيبه ونيجى نزوركم .

وكان حسين وسامى يتابعان الحديث الودى فى دهش ، فأين زينب التى تكاد تذوب رقة وهى تحدث الفتاة من زينب الثائرة الحانقة التى كانت تقذف من فيها ألسنة نار ؟!

ودخلت جيهان ودخل من خلفها سامى ، وما إن جلسا للاستذكار حتى جاءت زينب وأغلقت عليهما الباب فى رفق وقالت :

ــ ربنا ينجح مقاصدهم .

ولما وصلت زينب إلى حيث كان زوجها قال لها :

ــ إيه الرقه دى كلها ؟ إيه اللى جرى فى الدنيا ؟

فقالت زينب فى هدوء :

ــ مدام اتخطبت ربنا يهنيها .. أنا كنت خايفه لتلهف الواد .

فقال حسين ليغيظها :

ــ ما ح تلهفه واحده تانيه ، إيه الفرق بين التانيه دى وبين جيهان ؟

ــ التانيه دى أنا ح اختارها على عينى .

وتذكرت عينها الشمال .. إنها هدأت الموقف وتركت كل شيء يمر فى سلام لتقضى على مخاوفها التى استولت عليها ، إلا أن عينها الشمال لا تزال ترتعش فقالت :

ــ لسه عينى الشمال بترف .. اللهم اجعله خير .

ورن الجرس الخارجى فهرعت سوسن تفتح الباب فألفت نبيلة وقد حملت حقيبة كبيرة ، فصاحت سوسن قائلة :

— أبله نبيله جت .. معاها شنطه كبيره .. باينها مسافره ؟ .

والتفت حسين إلى زينب فى ذعر فقد غلص قلباهما لما سمعا من سوسن إعلان وصول أختها ، وزاد فى جزعهما خبر الحقيبة الكبيرة التى تحملها ، وقال حسين فى صوت فيه رنة أسى :

— يا ترى جت ليه ؟

— مش عارفه .. خليك انت هنا لما اشوف إيه .

وذهبت زينب وتصنعت الهدوء واغتصبت ابتسامة وقالت فى ترحيب لما رأت ابنتها وإن كان قلق بالغ يدثرها :

— أهلا .. أهلا .

ومدت يدها تحاول أن تحمل عن ابنتها الحقيبة ، ولكن نبيلة أبعدت الحقيبة عن متناول يد الأم وسارت شاردة تحاول أن تجمع شجاعتها التى تناثرت وأن تحبس الدموع التى تريد أن تطفر من مقلتيها ، إلا أن غريزة الأم كشفت كل شىء ، فطنت إلى أن ابنتها فى محنة فإذا بالأسى يغمر عواطفها وإذا بلهفة على أن تعرف أسباب مقدم ابنتها تستولى عليها ، فما أن صارتا فى غرفة البنات وحدهما ووضعت نبيلة الحقيبة على السرير حتى قالت الأم :

— إيه اللى جرى يا نبيله ؟

فانفجرت نبيله باكية ، فأسرعت الأم تضمها إلى صدرها وتقول وقد ترقرقت الدموع فى عينيها :

— بس يا بنتى بلاش عياط وقولى إيه اللى جرى .

ــ ده قال : لانا لهوه .

ــ لأ هوه .. ده هو من لحمنا ودمنا ، هو حد ينزل اللى ف بطنه إلا إذا كان ابن حرام !

ــ يا ماما أنا مش ح انزله مهما يحصل .

ــ تنزليه ازاى ؟ ده ضناكى ؟ حد يموت ضناه بإيديه ؟ وتروحى من ربنا فين ؟

وساد بينهما صمت لحظة ثم قالت الأم :

ــ روحى اغسلى وشك وغيرى هدومك ، بيت أبوك اللى ساعك قبل ما تتجوزى يساعك بعد ما تجوزتى ، ده احنا نشيلك جوه عنينا .

وفتحت نبيلة الحقيبة فإذا بها ملابسها ، فأخرجت قميص النوم وانطلقت زينب إلى حيث كان حسين قلقا أرقا ، فما أن رآها حتى خف إليها يقول لها فى لهفة :

ــ حصل إيه ؟

ــ شوية نقار بينها وبين شفيق .

ــ سببه إيه ؟

ــ عرف إنها حامل زعل وعايز ينزله .

ــ وح تعمل إيه دلوقت .

ــ ح تفضل معانا لغاية ما ييجى ياخدها ورجله على رقبته .

١٤

كانت أحلام تسير وقد ازداد بطنها انتفاخا و لم تكن تحس نفس الانشراح الذى كانت تستشعره كلما خرجت لتتمشى فإنها منذ غضبت نبيلة وعادت إلى بيت أبيها أمست تخرج وحدها وفى النفس أسى ، فما كان يخطر لها على قلب أن يصل الحب الذى كان بين نبيلة وشفيق إلى مثل ذلك الجفاء البارد الثقيل .

و كان جلال يسير إلى جوارها صامتا ؛ وكان ذهنه مشغولا بما كان بين نبيلة وزوجها . إن صداقة متينة كانت توطدت بينهم جميعا فإذا بغياب نبيلة وشفيق يترك فراغا فى حياته يسبب له ضيقا ، وما كان بقادر على أن ينفرد بأفكاره فقال :

— إيه اللى عمله شفيق ده ؟ بقى ده معقول ! أنا ح اروح اكلمه .

فقالت أحلام فى إشفاق :

— بلاش يا جلال . إن كلمته ح يركب راسه ، وإن عرفت نبيله ح تزعل .

— وإيه اللى ح يزعلها ؟

— كلامك لشفيق عشان يرجعها ح يجرح كرامتها .

— كلام إيه ده ؟ أمال فين إصلاح ذات البين .

— إن كلمت شفيق ورجعها يبقى عشان خاطرك مش عشان خاطرها ، وإن رفض يصلحها تبقى أسأت وزودت الخلاف ، أنا رأيى إنك تسيبه لغاية ما يرجع لعقله .

فقال ضيقا بحديثها :

— ما هو لو فكرنا فى كرامته وفى كرامتها مش ح نعمل حاجه . أنا ح اكلم شفيق .

وكانت احلام فى قرارة نفسها تتمنى أن يقوم زوجها بتلك الوساطة ، أن يعيد أختها إلى بيتها ، فليس للمتزوجات غير بيوتهن وإن فتح الآباء أذرعهم مرحبين . كانت أمها تقول لها دائما « هى الواحده تستريح إلا فى بيتها ؟ » ، وكانت تعجب من قولها قبل أن تتزوج ، أما وقد تزوجت وأصبح لها مملكة صغيرة ترعاها فقد عرفت حقيقة ذلك القول .

وسارا يتحدثان ثم عادا إلى البيت سيرا على الأقدام ، وصعدت أحلام لتستريح من رياضتها التى فرضت عليها وانطلق جلال لا يلوى على شيء .

كان شفيق فى البيت وحده تبدو عليه الكآبة والسأم.إنه اعتاد أن يجد نبيلة فى انتظاره ، وإذا خرج خرجت معه . صارت جزءا من حياته . إنه لا يدرى لماذا تطوف بذهنه أسعد أيامه معها منذ أن غادرت البيت . إنه يذكر ليلة الزفاف ، فلو أنها كانت ليلة بسيطة إلا أنها كانت مترعة بالمتعة التى استقرت فى أغوار نفسه .

إن المتعة الحسية سرعان ما تتلاشى ، ولكن متعة اتصاله بها لم تكن

متعة مادية فحسب بل كانت امتزاج روح بروح ، ذوب نفس فى نفس . ولولا أنه بطبعه لا يحب أن يكشف عن حقيقة مشاعره لظل يقول لها إنه يحبها .. يعبدها ، إلا أنه كان فى قرارة نفسه يعتقد أن تعرية الحب تفسده كما أن الطعام يفسد إذا ما تعرى .

ووسوست له نفسه فى لحظات أنه كان قاسيا معها يوم أن ثار فى وجهها لأنها حملت ، واتهمته بمجافاة المنطق والذوق : ولكن غروره ثار على تلك الثورة وراح يقنعه بأن ما فعله كان جزاء وفاقا على أن خدعته وحملت على الرغم مما كان بينه وبينها من اتفاق .

طرق جلال الباب فنهض شفيق وقد تصارعته أحاسيس متباينة . ترى أعادت نبيلة لتعتذر ؟ و لم يصدق ذلك الخاطر فهو يعرفها شديدة الحساسية ، شديدة الاعتزاز بكرامتها ، فإذا لم تكن نبيلة فمن يكون ؟

وفتح الباب فإذا بجلال أمامه ، ومد بصره من فوق كتف جلال ففطن جلال إلى ما يرمى إليه فقال له :

ـــ ما تخافش دانا لوحدى .

ـــ أمال فين أحلام ؟

فقال جلال ليفتح بابا للحديث :

ـــ ح تيجى لمين يا سى شفيق ؟ اللى كانت بتيجى لها مش هنا .

وانطلقا إلى حيث كان شفيق جالسا فوقعت عينا جلال على منفضة السجاير ، إنها تكاد تطفح بأعقاب السجاير فقال جلال :

ـــ إيه ده كله يا شفيق ؟ إنت كنت بتشرب خفيف .

ولاحظ الوجوم الذى كسا وجهه فأراد أن يرده إلى طبعه حتى يستطيع أن يتجاذب معه أطراف الحديث دون ثورة أو انفعال . فقد يده وراح يقلب فى أعقاب السجاير ثم ابتسم وقال :

ـــ براءة ، ما فيش ولا عقب فيه روج .

وابتسم شفيق وقام وهو يقول :

ـــ قهوه واللا اجيب لك حاجه ساقعه ؟

ـــ إذا كان ضرورى هات حاجه ساقعه ، مين عندك ح يعمل القهوه .

وأحس شفيق أن جلال ماجاء إلا ليحادثه فى موضوع زوجه ، فسار إلى الثلاجة على مهل يفكر ويرتب أفكاره ، ثم عاد ليحمل زجاجتين ليمونادة وجلسا يشربان . قال جلال :

ـــ إيه اللى عملته ده يا شفيق ؟ بقى نبيله تستاهل منك ده ؟

فقال شفيق وقد بدأت دماؤه الحارة تتدفق فى عروقه :

ـــ وكنت عايزنى أعمل إيه ؟ اتفقنا على حاجه وكان كله برضاها ، نمت وصحيت عرفت انها كانت بتكذب على ، كانت بتخدعنى .

ـــ ما تقولش كانت بتخدعك ، دى كلمه كبيره قوى ، الناس تفتكر ايه ؟

ـــ أمال اللى تبقى عايشه معاك شهرين وكاتمه عنك سرها تبقى إيه ؟

ـــ يمكن ما كانتش عارفه .

ـــ يا ريت ، دى كانت مدبره كل شيء ، دا اللى غايظنى .

١٥

جاءت أحلام وجلال إلى منزل أبيها فى الشهر الأخير ، فوجدت أن من الأسلم أن تكون إلى جوار أمها فإذا ما فاجأها المخاض كانت بين أهلها فى رعايتهم جميعا ، وهرعت نبيلة إليها تقبلها فقال سامى معلقا :

ـــ ولاد الخاله يجوزوا لبعض ، ابعدى بطنك يا أحلام عن بطنها .

وأشرق وجه الأم بابتسامة عريضة وغمرها سرور فياض ، وكان حسين تتنازعه عواطفه لا يدرى أيفرح أم يرثى لنبيلة التى كانت أشبه بأرملة وإن كان زوجها على قيد الحياة .

وقالت سوسن وهى تجذب أحلام من ثوبها :

ـــ أبله أحلام ، عارفه ح تنامى فى سريرى الليله دى ، أبله نبيله بتنام فى سرير هاله .

فمالت أحلام وقبلتها وقالت لها :

ـــ كتر خيرك يا حبيبتى .

وقال مراد فى سذاجة :

ـــ الحمد لله إنكم جيتوا بعد الامتحانات ما خلصت

ونظر إليه أبوه نظرة تأنيب ، فأطرق مراد وإن لم يفهم سبب نظرات العتاب التى رماها أبوه بها ، وأقبل عاطف يحمل الكلب فقالت الأم

عاضبه :

ـــ قلت لك الكلب ده ما ينزلش م السطح أبدا .

فقال عاطف مبررا ما فعل :

ـــ أنا لقيت العيله كلها هنا ما فيش حد غايب إلا سوزى ، قلت اجيبه .

وضع الكلب على الأرض فراحت أحلام تمسح له شعره فى حنان وتداعبه وتناديه :

ـــ سوزى .. سوزى .

والتف الأولاد حول سوزى يلاعبونه ، وإذا بفكرة تطرأ على ذهن مراد فيقول :

ـــ نسيب أحلام ونبيلة ينادوله ، اللى يروح لها منهم تبقى ح تجيب ولد .

وعلى الرغم من سذاجة الفكرة فقد تأخر الجميع وتركوا أحلام ونبيلة تحاول كل منهما أن تغرى سوزى ليتجه إليها . وقد صادفت اللعبة هوى فى نفس زينب فتقدمت ترقب التجربة ، أما حسين فقد منعه وقاره أن يشارك صراحة فيما أثار الحماس بين الجميع .

وذهب الكلب إلى نبيلة ثم عطف على أحلام ، فإذا بزينب تتهلل بالفرح وتقول :

ـــ الاتنين ح يجيبوا ولاد .

وأشرق وجه الجميع بالغبطة ، وإذا بجلال يقول لحماته :

ـــ بتحبى يا تانت الأولاد أكثر .

فقالت زينب فى إنكار :

ـــ أبدا والنبى يا ابنى ، كلهم معزه واحده .

فقال سامى وهو يشير إلى سوسن :

ـــ بقى أنا عندك زى المفعوصه دى ؟

ـــ وتزيد عنها إيه ؟ لك طرطور واللا على راسك ريشه ؟

ورن جرس الباب فأسرعت سوسن إليه وكانت تسابق عاطف الذى جرى وجرى الكلب خلفه ، فلما فتحت الباب ظهرت جيهان فإذا بالكلب ينبح ، فتقهقرت وقالت :

ـــ حوشوا الكلب ده .

فهرع سامى ونحاه وقال لها :

ـــ اتفضلى .

ودخلت جيهان وأحلام ترنو إليها فى دهش ، وزادت دهشتها لما سمعتها تقول لسامى :

ـــ مبروك يا سامى ، نجحنا .

فقال لها سامى فى انشراح :

ـــ مبروك يا جيهان .

ودارت على عقبيها وقالت :

ـــ عن إذنكم .

فقال حسين :

ــ ما بدرى ، اقعدى استريحى .

ــ ما اقدرش ، بابا مستنى تحت .

فقالت لها زينب :

ــ ابقى تعالى .

ــ من عينى يا تانت .

ــ تعرفى تفصلى ولا تخيطى ؟

ــ طبعا يا تانت .

فقالت زينب وهى تشير إلى بطن أحلام ونبيلة :

ــ تبقى تيجى تساعدينا فى خياطة هدوم النونو والنونو .

ــ حاضر يا تانت .

وانصرفت جيهان وقالت أحلام :

ــ ما قعدتش ليه ؟

فقال مراد :

ــ أصل أبوها تحت .

ــ طب ما طلعش ليه ؟

فقالت زينب فى لهجة عادية من كثرة ما كررت العبارة :

ــ بينكسف .

وقالت أحلام :

ــ عروسه حلوه يا ماما .

ــ دى بتذاكر مع سامى ومخطوبه .

فقال حسين فى بساطة :

ـــ طيب ما تجيب لهم .

ـــ واجيب لهم منين ؟ ما فيش فلوس .

فقال حسين دون أن يتبرم أو يظهر عليه أى أثر للضيق :

ـــ المحفظة فى جيب الجاكته جوه ، خد اللى انت عايزه .

كان حسين سعيدا لنجاح ابنه وكان واثقا من نجاح نبيلة فلم يشأ أن يجعل أى شيء يؤثر على انشراح صدره ، وكان على استعداد لأن يفعل كل ما فى وسعه ليجلب السرور إلى قلوب أبنائه .

ودخل سامى وفتح حافظة أبيه فلم يجد فيها نقودا كثيرة ، فسحب منها جنيها وأعادها إلى مكانها وهو يحس نحو أبيه حبا عظيما امتزج بإشفاق على الرجل الذى يحرم نفسه ليجود على فلذات أكباده . وهبط سامى مهرولا فإذا بعاطف وسوسن يجرون خلفه ليلحقوا به ، فإنه لمنظر يرضى غرورهم أن يروا أخاهم الأكبر يشترى لهم حلوى بجنيه .

وعاد سامى يحمل صندوق الجاتوه وراح يسأل وهو يستشعر أهميته :

ـــ الشاى جاهز ؟

فقالت زينب وهى تدفع أحلام ونبيلة أمامها :

ـــ كل حاجه جاهزه .

ودخلوا غرفة السفرة وجلسوا يشربون الشاى ويأكلون الجاتوه . وتلفت عاطف وفى غفلة من الجميع أخذ واحدة وانطلق إلى سوزى وراح يطعمها للكلب فما كان يستطيع أن يحتمل أن تأكل الأسرة كلها ويحرم

ـــ حد عايز حاجه قبل ما اقعد ؟

فقال له سامى ليغيظه :

ـــ ح تقعد ليه ؟ ما كل حاجه خلصت .

وظهر الضيق فى وجه مراد .. أأرسل ليحضر ماء ليحرم من الجاتوه ؟ و لم يطل ضيقه فإن زينب قدمت له واحدة وهى تقول له :

ـــ ما تزعلش .. أنا شلت لك دى .

وتناولها مراد وراح يقضمها وهو واقف فما كانت تستأهل أن يجلس . ونهض حسين وقال :

ـــ اتمسوا بالخير .

وذهب إلى غرفة النوم ، وقالت زينب لهالة وعاطف :

ـــ تعالوا انتو ح تباتوا معانا من النهارده .

فقالت أحلام :

ـــ خلى هاله تنام جنبى وعاطف ينام جنب نبيله .

فقالت الأم وهى تبتسم .

ـــ هو ده معقول ؟ دول بيرفسوا طول الليل .

فقالت أحلام فى أسف :

ـــ ح نضايقكو .

ـــ ما تقوليش كده .. السرير واسع يساعنا وزياده .

ودخلت زينب إلى غرفة النوم تسوق أمامها عاطف وهالة . وما أن أغلقت البابا حتى راحت تفرش لعاطف فراشا على الأرض وأنامت هالة بينها وبين حسين . وما أن أغمضت هالة عينيها حتى تحركت بحيث أمسى رأسها فى بطن أمها ورجلاها على بطن أبيها .

١٦

كانت أحلام فى سريرها ونبيلة فى سريرها وقد راحت نبيلة فى النوم . كانت تتحدث كعادتها فى نومها وما كانت أحلامها تدور حول المدرسة وما فعلته فى يومها كما كان ذلك شأنها قبل أن تتزوج ، بل كانت تحلم بشفيق ، فما أكثر ما نطقت اسمه فى حنان وما أكثر ما نادته وهى غاضبة .

وكانت أحلام تتلوى من الألم . إنها كانت تحس أن شيئا يتحرك فى أحشائها ، وقد خطر على بالها أكثر من مرة أن تنهض وأن تطرق باب نوم أمها ، ولكنها كانت تشفق على أبيها فما كانت تحب أن تقلق راحته .

واشتد بها الوجع فنهضت وهى تضع يدها فى وسطها كأنما تمسك شيئا خشية أن يسقط ، وسارت إلى غرفة نوم أمها ورفعت يدها لتدق الباب ولكن خجلها منعها فعادت وهى ترجو أن تستيقظ نبيلة ، إلا أن نبيلة ظلت تجتر أحلامها .

وفى الصباح نهضت زينب وكان أول ما فعلته أن انطلقت إلى حيث أحلام ونبيلة ، فألفت أحلام تتأوه فقالت لها :

ـــ صباح الخير .. نمتى كويس ؟

ـــ صباح النور يا ماما ، طول الليل بتألم م الوجع .

واستيقظت نبيلة على الحديث الدائر بين أمها وأختها فجلست فى الفراش تفرك عينيها ، سمعت أمها تقول لأحلام :

ـــ وحاسه بإيه دلوقت ؟

ـــ كأن إيد هون بتدق فى ضهرى .

ـــ تبقى ح تولدى .

فغادرت نبيلة الفراش وقالت :

ـــ مستنيين إيه ؟ ما تبعتوا للدكتوره .

فقالت الأم فى ثقة :

ـــ لسه بدرى يا نبيله .. البكريه تطول شويه .

وذهبت نبيلة إلى الحمام فإذا بها تلقى سامى عند الباب وقد وضع فوطة فوق كتفه ، فلم تسرع لتدخل كما كانت تفعل وتغلق الباب خلفها بل تأخرت خطوات وقالت وهى تفسح الطريق أمام أخيها :

ـــ اتفضل .

فالتفت سامى إليها وقال :

ـــ كبرنا وعقلنا .

وما كاد يتم كلامه حتى جاءت سوسن تجرى واندفعت إلى الحمام وأغلقت الباب خلفها ، فإذا سامى يثور ويقول لها مهددا :

ـــ بس لما تطلعى أنا ح اوريكى .

فابتسمت نبيلة فما حدث يذكرها بأيام سعيدة مرت بها . أيام لم تعرف حقيقة قيمتها إلا بعد أن فقدتها . ثم التفتت إلى سامى وقالت له :

ـــ بكره تكبر وتعقل .

ولم تحتمل أحلام الآلام التى كانت تموج فى جنباتها ، فغادرت الفراش وأخذت تقطع الشقة جيئة وذهوبا ، حتى إذا لمحت أباها يخرج من غرفته سعت إليه وتعلقت به وهى تقول :

ـــ ح اولد إزاى يا بابا ؟

فقال الرجل وهو يتصنع الهدوء :

ـــ ما اعرفش .. دى حكمة ربنا ، اللى اعرفه إنك ح تولدى .

وغادر الرجل البيت ليذهب إلى عمله ، وراحت أحلام تتلوى وتصرخ فينتاب الفزع نبيلة فلا تجد إلا أن تذهب إلى أمها وتقول لها :

ـــ ما تبعتى تجيبى الدكتوره .

ـــ لسه يا نبيله .

ـــ ولو نزل دلوقت ؟

ـــ ح استلقاه على أديه .

ونظرت إليها نبيلة فى ضيق وعيناها تقولان : يا قلبك . واستمرت أحلام تتلوى وقد ارتفع صراخها فقالت نبيلة :

ـــ إن ما بعتيشى يا ماما للدكتوره ح اروح لها انا .

فنزلت الأم على رغبتها وقالت لها :

ـــ ح ابعت لها وروحى انتى سخنى الميه .

وراحت زينب إلى حيث كان أولادها وقالت لهم :

ـــ مين فيكو يروح ينده للدكتوره ؟

فصمتوا جميعا .. فقالت زينب :

ـــ اللى يروح فيكو ح اديله قرش .

فقال عاطف فى حماس :

ـــ أنا ..

ـــ شاطر .. روح قل لها تعالى حالا ، أحلام بتولد .

ـــ هاتى القرش قبله .

فمدت يدها فى صدرها وأخرجت منديلا بسطته وأخذت قرشا من بين النقود وأعطته عاطف ، فراح عاطف يهرول هابطا وإذا بالكلب يهبط من السطح ويقتفي أثره .

ودخلت الأم غرفة أحلام وأخذت تعيد تنسيقها وتخرج الثياب والأقمشة التى سيلف فيها المولود ، واشتد صراخ أحلام فقالت لها أمها :

ـــ دى طلقة ولد .

فقالت أحلام متبرمة :

ـــ أنا لا عايزه ولد ولا بنت .. عايزه اللى فى بطنى ينزل ويريحنى .

وجاءت الدكتورة ودخلت مسرعة ، وسارت إلى حيث كانت أحلام فألفتها تتألم وتتلوى ، فنظرت إلى زينب وقالت مستأذنة :

ـــ أديها حقنة تحمى الطلق ؟

فقالت زينب وقد لاح فى وجهها فزع :

ـــ لا ياختى .. أنا ما احبش الحقن .

ودخلت نبيلة عليهم وقالت :

ــ جلال جه .

فصاحت أحلام :

ــ هاتوه يولد معايا .

وصل قولها أذنى جلال فانكمش ، فجاءه سامى وقال له مداعبا :

ــ ما تخش تولد معاها ، بس فالح تعملها .

ولم يبتسم جلال .. كان مشفقا على زوجه يتعجل ولادتها لينتهى ما هى فيه من عذاب . وراح يغدو ويروح وقد صار كله آذانا ، إنه يسمع كل همسة فى الحجرة ، بلغه قول الدكتورة :

ــ اتفضلى انتى بره بقى .

فراح يرقب الخارج وسمع الأم تقول :

ــ ناوليها الميه السخنه .. لأ ما تشيليهاش انتى .. خلى سامى واللا مراد يجيبها .

وأسرع جلال إلى المطبخ وعاد يحمل طستا به ماء يغلى ، فإذا بنبيلة تقابله فى منتصف الصالة فتقول له :

ــ عنك انت .

فيأبى أن يترك الطست لها فتسير إلى جواره حتى إذا بلغا باب غرفة أحلام قالت :

ــ خدى الميه من جلال يا ماما .

وتفتح زينب الباب وتأخد منه الطست وتقول :

ــ إيد ما نعدمها .

ويأتى حسين ويرى بخار الماء يملأ جو البيت فيقول :

— هى لسه ما ولدتش ؟!

فيرد عليه جلال :

— لسه يا عمى .

ويفطن حسين إلى وجود جلال فيقول له :

— إزيك يا جلال .. ما تآخذنيش يا ابنى .

ويجول جلال وحسين خلال الشقة وقد لفهما قلق ، و لم يحتمل حسين ذلك فالتفت إلى جلال وقال :

— أنا نازل الشارع اتمشى .. تيجى معايا يا جلال ؟

— أنا ح افضل هنا .

— لما تولد ابقوا قولوا لى .

وخرج حسين وأولاده يرقبونه فى دهشة فما كانوا بقادرين على أن يعرفوا حقيقة شعوره ، وراح جلال يرصد الساعة التى فى الصالة ، إنها تسير ببطء شديد كأنما الزمن قد توقف . واتجهت نبيلة إلى باب الغرفة تتصنت فإذا بسامى يذهب إليها ويقول لها وهو يجذبها من يدها فى رفق :

— تعالى استريحى .

وارتفع صراخ مولود وإذا بالبشر يكسو جميع الوجوه ، حتى هالة تهللت بالفرح ، ومر وقت ثم خرجت زينب لجلال وقالت لجلال :

— تتربى فى عزك .

— مرسى يا تانت .

وقال سامى فى عدم ارتياح :

ـــ بنت .. أنا ما احبش البنات .

فقال جلال فى استسلام :

ـــ كل اللى يجيبه ربنا نعمة .

والتفتت زينب إلى سامى وقالت :

ـــ ربنا مش ح يرزقك إلا بالبنات .

وخرجت الدكتورة وقالت لجلال :

ـــ تقدر تتفضل دلوقت .

ودخل جلال وانسل عاطف خارجا فى أثر الدكتورة .

نظر جلال إلى زوجه فى حب ثم قال :

ـــ حمد الله على سلامتك .

وابتسمت أحلام وقالت له :

ـــ قربهو لى شويه أشوفه .

وظهر فى وجه جلال دهشه ، وقال وهو يميل فوقها ويجذب فراش الطفل ليقربه منها :

ـــ أمال ماما قالت بنت ازاى ؟

ـــ خايفه لا يتحسد .

فنظرت إلى الوليد وقد نسيت كل آلامها ، وتحركت أمومتها فقالت :

ـــ مش حلو يا جلال ؟

ونظر إليه جلال فلم ير إلا قطعة لحم أحمر فقال :

ـــ ح يطلع وحش لمين ؟

ودخل حسين فإذا بأولاده جميعا يدخلون حوله وقد أمسك عاطف بيده كأنما يقول إنه هو الذى استدعاه ، فلما رأى ابنته خفق قلبه فى حب وقال فى فرح فياض :

ـــ حمدا لله على سلامتك .

ـــ مرسى يا بابا .

وقال له جلال وهو يشير إلى ابنه الذى استقبل الدنيا بالبكاء ثم استسلم لقضائه :

ـــ شوف حسين الصغير حلو ازاى .

فإذا بابتسامة تتوج جميع الشفاه ، وإذا بالدموع تترقرق فى عينى زينب فتنسل لتكفكفها بعيدا .

١٧

ودخل حسين وزينب محلا فاخرا لشراء هدية للمولود ، واتجها إلى جناح الأطفال فرأى حسين ثوب طفل فأخذه بين يديه يقلبه ثم قدمه إلى زوجه وهو يقول :

ـــ إيه رأيك فى ده ؟

فنحت زينب يده بالثوب بعيدا عنها وقالت :

ـــ الهدوم عنده كتير .

وأعاد حسين الثوب إلى مكانه وتناول عروسة صغيرة وقال لزينب :

ـــ وإيه رأيك فى دى ؟

فقال وهى تجول بعينيها فى المكان تبحث عن شىء :

ـــ ح يعمل بيها إيه ؟ ده لسه ما يفهمش . نجيب له حاجه تنفعه .

وفطن حسين إلى أنها تبحث عن هدية غالية ، فرأى ذلك الشىء المصنوع من جلد أزرق الذى يوضع فيه الطفل ويحمل بعلاقتين فى يد الأب والأم فى أثناء الخروج فرفعه فى يده وقال لزينب :

ـــ أفتكر ده مناسب .

فقالت زينب وهى تقلب عينيها فى المكان :

— قربت .

ووقعت عيناها على بغيتها ؛ إنها عربة صغيرة لها كبود فخم يفتح ويغلق يوضع فيها الطفل وتدفع باليدين تصلح للشتاء والصيف ، فانجذبت إليها وسارت وحسين يتبعها حتى إذا ما قبضت على يدها المصنوعة من معدن لامع ودفعتها إلى الأمام وجذبتها إلى الخلف تختبر متانتها قالت :

— هي دى .

ونظر حسين إلى الصندوق المصنوع من الجلد الأزرق وقال :

— وماله ده ؟

— دا ما يستعملش إلا والنونو صغير ، تو ما كبر مبقاش له قيمه ، إنما دى ممكن تتحط جنب سريرها وتبقى له سرير .. يعنى كلها فوايد .

ولما كان حسين قد تعلم أن لا فائدة من الاعتراض استسلم ، وقالت زينب للرجل الذى كان فى خدمتهما :

— ممكن تبعتوها ع البيت ؟

— بكل ممنونية يا افندم .

— طب اديله العنوان يا حسين .

— ما ناخدها معانا ؟ .

— لأ . ح نشترى حاجات تانيه .

وأعطى حسين الرجل العنوان وذهب يدفع الفاتورة وهو يتلفت خشية أن تشترى زوجه شيئا آخر .

وانصرفا إلى الغورية وراحت زينب تشترى المغات والشمع فأتت على الشمع الذى كان موجودا بالمحل ، ثم انتقلت إلى محل آخر واشترت كل ما فيه من شمع وقالت للرجل :

— ما تعرفش نشترى فول مقشر وحمص منين ؟

— فيه مقله هناك حاجاتها كويسه .

وسارت تشق طريقها فى زحام الغورية وحسين يحمل ما اشترته ، وعلى الرغم من الزحام راحت تحدثه وتقول :

— فين أيامنا الحلوه .. أيام الفستق والبندق واللوز ؟ مين كان يصدق إن ح تيجى علينا أيام نفرق فيها سودانى وحمص وأرواح فى السبوع .. زمن !!

وذهبا إلى المقلى واشترت زينب ما شاءت وحسين واقف متبرم ، حتى إذا ما حملت ما اشترت قالت له :

— السودانى بقى أغلى ما كنا بنشترى الفسدق !

وصمت حسين ثم قال :

— تعالى نشوف تاكس .

— لسه .

— لسه إيه كمان ؟

— ما اشتريناش الفراخ .

— يعنى ضرورى النهارده .

— يا نهارى ، أمال أحلام تتنفس بإيه ؟ دى الوالده أول ما تنزل العيل

لازم تحط فرخه تسند بيها بطنها .

فقال حسين ساخرا :

— والفراخ دى مش عايزه تلاجه ؟ ما تيجى نشترى تلاجه قبله ؟

ولم يعجبها سخريته فقالت فى عتاب :

— هو انا عقلى طاقق لأد كده ؟ التلاجه عند جلال ندبح الفراخ ونضفهم ونوديهم عنده ، وكل يوم وهو جاى يجيب فرخه معاه .

— وإيه لازمة البعتره دى كلها ؟

— خلينا نشرب ونفرح وجيراننا يشربوا ويفرحوا . مش ده أحسن ما كانت المستشفى تلهف الفلوس ؟

وأطرق حسين لحظة ثم قال :

— ما نشترى فراخ م الجمعيه ولا تعب ولا تنضيف .

ولوت زينب شفتها وقالت :

— هى دى فيها بر ، دى شربتها زى مية الفول النابت .. البلدى بلدى .

وسار معها مستسلما إلى الفرارجى ، فراحت تحمل الدجاج تزنه فى يدها قبل أن تسمح بوضعه فى الميزان . واشترت خمسة أزواج وحسين ينظر صامتا ثم قال :

— ما يدبحهم وينضفهم .

— أنا اللى حادبحهم فى البيت بإيدى .

— وح ناخدهم ازاى ؟

— حد يحطهم فى قفص وييجى معانا .

هذا ما كان فى حسبانها : إنها تريد أن تعود محملة وأن يسير خلفها من يحمل قفص الدجاج وأن يتحدث الجيران بما جلبت لابنتها . وقبل أن تتحرك للانصرف قالت لحسين :

— نسينا السمن ، أمال ح نعمل المغات بإيه ؟

— ومين ح يشيله واحنا محملين زى الحمير ؟

— اللى يشيل قفص الفراخ على راسه ياخد السمن فى إيده .

وانطلقت إلى بقال وحسين يتحكم فى عواطفه وإن كان سينفجر من الغيظ . واشترت صفيحة سمن صغيرة وناولتها للرجل الذى كان يحمل قفص الدجاج فوق رأسه ، فالتقطها فى يده وسرى الركب فى الطرقات وقد وسعت زينب من خطوها فهى تريد أن تصل إلى البيت قبل سقوط الليل .

ولمحت سيارة المحل الذى اشترت منه عربة المولود واقفة أمام دارهم فاستشعرت زهوا ، وسمعت صوت الكلاكس المتصل فإذا بسعادة تغمرها ، فالكلاكس سيجذب الجيران إلى الشبابيك والشرفات وهذا غاية أمانيها ليروا ما جلبت من طيبات ..

وفتحت النوافذ والشرفات ، وخرج سامى ومراد والأولاد إلى الشرفة ، فلما رأوا والديهم قادمين هرعوا هابطين فى الدرج مسرعين ، وجرى سامى ليحمل عن أبيه ما كان ينوء به ولكن أمه قالت بصوت عال لا لتسمعه وحده بل لتسمع الجيران :

ــ روح انت يا سامى استلم منهم العربيه .

وكانت العربة قد خرجت من جوف السيارة واستقرتْ على الأرض فذهب سامى ليتسلمها . وحمل مراد وعاطف وسوسن ما كان يحمله أبوهم والتفوا حول أبويهم فرحين ، فسارت زينب تكاد أعضاؤها تهتز سرورا ، وبين وقت وآخر تلتفت إلى الرجل الذى يحمل قفص الدجاج ويسير خلفهم كأنما كانت تعلن للملأ أن الدجاج دجاجها .

١٨

ذبحت زينب الدجاج ووضعت صفيحة ماء على وابور الجاز وذهبت
قدم لأحلام العشاء ، فوجدت أن هالة قد وضعت فى العربة وأن
موسن وعاطف يتشاجران على من يدفعها أمامه فصاحت فيهم :

ــ إيه المسخره دى ؟ هى دى كمان لعبه .

وأنزلت هالة ، فلما وجدتها ستبكى قالت لها :

ــ تعالى نضفى الفراخ معايا .

فقال عاطف :

ــ وانا .

ــ وانت .

وقالت سوسن :

ــ وانا كمان .

ــ وانتى كمان .

ودفعت العربة أمامها ووضعتها إلى جوار سرير أحلام وقالت لها :

ــ استعمليها بالليل .

ووضعت صينية الطعام فى حجر أحلام ، ومالت على الطفل تقبله فى

حب ثم خرجت وهى تنادى :

— سامى ، مراد ، نبيله ، سوسن ، عاطف . تعالوا كلكم اشتغلوا .

واتجهت إلى المطبخ فإذا بجميع الأولاد يلحقون بها ، فوضعت طستا كبيرا فى الوسط وقالت للأولاد :

— هاتوا كراسى المطبخ واقعدوا عليها .

فأتوا بها وتحلقوا الطست ، وأنزلت صفيحة الماء المغلى من على الوابور وراحت تغمس الدجاج بها وتلقى به فى الطست ، فيتناول كل واحد من أولادها دجاجة ينتف ريشها .

وجاءت هالة وحاولت أن تلتقط دجاجة وأن تفعل كما يفعل إخوتها فإذا بالدجاجة تلسعها فتبكى فتضمها نبيلة إلى صدرها ، ويأتى حسين ليرى ما الذى أبكاها فتقول زينب له :

— ما تقعد معانا تساعدنا .

فجلس بعد أن أفسح له سامى مكانا وراح ينتف ريش دجاجة ، فامتلأ المكان بالريش .

وقال عاطف وهو يجاهد لينزع ريش جناح الدجاجة التى كان ينظفها :

— اليومين دول سوزى ح يهيص .

فقال له مراد :

— ده احنا اللى ح نهيص .

وانسحبت هالة ونامت فى الصالة ، وبعدها انسحب عاطف ، وأرادت نبيلة أن تنسحب فقد مشى التعب فى أوصالها فقالت وهى تنهض :

ـــ أما اشوف الأولاد ناموا فين .

وذهبت إلى حيث كانت هالة وعاطف فأيقظتهما فى رفق وقادتهما إلى سرير أبويها ، و لم تعد لتستأنف عملها بل تمددت إلى جوارهما ، ولولا خجلها لدخلت لتنام فى سريرها . وسرعان ما انسحب سامى ثم مراد ، فلما دقت الساعة الثانية عشرة لم يكن فى المطبخ سوى حسين وزينب وسوسن .

ووضعت زينب الدجاج فى مصفاة كبيرة وقالت :

ـــ الصبح نخلى جلال ياخدهم ويحطهم فى التلاجه .

فدنت سوسن من أمها وقالت لها :

ـــ عايزه كبده .

لم تكن سوسن تنتظر بلا هدف بل كانت تريد أن تأكل أكباد الدجاج ، وقد صادفت الفكرة هوى فى نفس الأم فراحت تحمر أكباد الدجاج ثم أخذت تأكل مع سوسن وتغرى حسين على مشاركتهما فيه ؛ و لم يستطع مقاومة إغراء الروائح التى ملأت أنفسه ، فأقبل يأكل متلذذا حتى كاد ينسى النوم الذى كان يداعب عينيه .

وبعد أن أكلا لمحا نبيلة تنسحب إلى غرفتها ، فقالت لها أمها بعد أن فطنت إلى أنها لم تدعها على الطعام :

ــ تعالى يا نبيلة حمرى لك حتتين وكلى .

فقالت نبيلة وإن أسالت الرائحة المنبعثة من المطبخ لعابها :

ــ أنا اتعشيت يا ماما مع سامى ومراد .

ودخل الجميع ليناموا ، فوجدت نبيلة أختها أحلام ترضع وليدها فقالت وهى تبتسم :

ــ هربتى من الجامعه عشان ما تسهريش ، أهو سهرك .

فقالت أحلام فى رضا :

ــ بس ده سهر لذيذ .

وفى الصباح الباكر نهضت زينب تقدح السمن للمغات فإذا بالشقة كلها تعبق برائحة السمن المقدوح ، وهرعت نبيلة إلى المطبخ تعاون أمها قالت :

ــ أساعدك فى حاجه ؟

ــ حمصى الفول السودانى .. قال فول سودانى قال .. فين المكسرات ؟ هو المغات يبقى مغات إلا لما يبقى السمن فوق وشه قيراطين ويتملى بالمكسرات .

واستيقظ كل من فى البيت فنادت على سوسن وقالت لها :

ــ خدى سلطانية المغات دى إديها لام محمد جارتنا ، وقولى لها خلى الأولاد ييجو فى السبوع .

وخرجت سوسن تحمل السلطانية ، ونادت زينب على عاطف وقالت له :

ــ ودى المغات ده لخالتك أم اسماعين وقول لها خلى الأولاد ييجوا فى السبوع .

ونادت مراد وأرادت أن تحمله حلة مغات ليذهب بها إلى الجيران فأبى وقال لها :

ــ إدى عاطف قرش وهو يوزع لك المغات ع الجيران كلها .

والتفتت نبيلة إلى أمها وقالت :

ــ إنتى ح تفرقى مغات ع الجيران كلهم ؟ ح تكفى عليهم منين ؟

ــ خير ربنا كتير .

وتناولت فنجانا كبيرا ملأته مغاتا ورشت فوقه السودانى المطحون وذهبت إلى حسين وقدمته إليه ، واعتذر حسين بأنه لا يستطيع أن يشرب على الريق كل ذلك الدسم ، قالت له :

ــ اشرب يا حسين انت ح تعمل زى الجيل الخرع ده ، دانا ابويا الله يرحمه ما كانش يفطر إلا بطاجن سمك .

وتناول حسين الفنجان كارها وراح يشرب قبل أن يحلق ذقنه .

وجاء سامى وهو يحمل صحف الصباح وهو يقرأ فيها فناول أباه صحيفة وأخذ أخرى يتصفحها ، فأقبلت سوسن ودخلت على أبيها تروى له ما فعلته فهى لاترى شيئا ولا تفعل شيئا إلا وتحكى عنه لا تقدر على الكتمان ، قالت :

ــ وديت المغات لام محمد وعم محمود وست زهيره وست فردوس ولكل الجيران اللى فى بيتنا وقلت لهم خلوا الأولاد ييجوا فى السبوع .

ـــ وديتى لكل دول ؟

ـــ آه ، وعاطف ودا للجيران اللى قدامنا واللى جنبنا .

ونحى حسين الفنجان جانبا وذهب إلى حيث كانت زينب . إنها كانت فى طريقها إلى أحلام تحمل لها الإفطار فقال لها فى غضب :

ـــ انتى ناويه تعملى إيه يا زينب ؟

ـــ سبوع ، انت فى ديك الساعة اللى بقيت فيها جد .

ووقف يتلفت فى حيرة وغابت زينب فى غرفة بنتها .

ودق جرس الباب فراح حسين يفتح فإذا مصطفى علوان وزوجه قد أقبلوا ليروا حفيدهم ، فما أن رأى مصطفى حسينا فى جلبابه حتى قال له :

ـــ لا مؤاخذه ، النهارده الجمعه وجينا بدرى .

ـــ البيت بيتكم اتفضلوا .

ودخلا وفى يد أم جلال صندوق شيكولاتة ، وبلغت الأصوات أذنى زينب فخرجت ترحب بهما وتبادلت المرأتان القبلات ، ثم قالت أم جلال :

ـــ مبروك ما جالكو .

فقالت زينب وقد أشرق وجهها سرورا .

ـــ مبروك ما جالنا كلنا .

ودخل الجميع غرفة أحلام فوضعت أم جلال صندوق الشيكولاته قريبا من امرأة ابنها بحيث تراه ، ثم مالت عليها وهى تقول :

— ألف حمد الله على سلامتك .

وقبلتها ، وقال مصطفى علوان :

— مبروك ! يتربى فى عزكم .

وجلس وجلست زوجه ، وذهبت زينب وحملت الوليد ودفعته إلى جدته وهى تقول :

— شوفى حسين حلو ازاى ؟

وتعكر صفوها لما صك أذنيها اسمه ، ولكنها تناولته على كفيها وهى تقول :

— بسم الله الرحمن الرحيم ..

وتطلعت فى وجهه ثم التفتت إلى أحلام وقالت :

— منين جبتى الوحاشه دى ؟ أبوه حلو وانتى حلوه .

فقالت أحلام :

— لأ يا نينه ، ده قمر .

ودفعته أم جلال فى رفق إلى زوجها فراح مصطفى ينظر إليه وقد تحركت عواطفه فإذا بإشراقة كبيرة تكسو وجهه . وأخرج من جيبه ورقة من فئة الخمسة الجنيهات ووضعها على صدره .. قدم الطفل إلى حسين الذى كان يرقب ما يجرى منفعلا فهو لا يصدق أنه أصبح جدا ، ولما رأى يدى مصطفى ممدودتين بالطفل قال وهو يتقهقر إشفاقا :

— لأ لأ . أنا ما حبش أشيلهم وهم صغيرين كده .

وتناولت زينب الطفل وأعادته فى خفة إلى جوار أمه ، فقال حسين

ــ هو احنا بقينا نقدر .

وأغلق الباب خلفهما ، فراح حسين ينظر إلى زوجته فى عتاب ويقول لها :

ــ إيه اللى بتعمليه ده ؟

ــ كان مش عايز جده وتيته يحضروا السبوع ؟!

وهبت أم جلال وزوجها وهى تتلهف على الابتعاد ، فلما وصلا إلى الطريق قالت :

ــ شوف ابنك الخايب ، سمى ابنه على اسم حماه ، كان الأصول يسميه مصطفى ، ده حتى اسم مصطفى جلال لايق اكتر من اسم حسين جلال !

ولزم مصطفى الصمت ، كان لا يحب أن يثير موضوعا للنقاش لا طائل تحته ، وضايقها صمته فأرادت أن تحرك لسانه قالت :

ــ ح تيجى السبوع ؟

ــ ودى فيها كلام ؟ سموه حسين جلال سموه مصطفى جلال أنا قلبى اتفتح له .

١٩

وضع الفول والحمص كوما فى وسط المائدة ، وذهبت زينب وسرعان ما عادت بصندوق الشيكولاتة الذى جاءت به أم جلال وصبت ما فيه فوق الفول والحمص وراحت تقلب الكوم بيدها ، وجلس أبناؤها جميعا حول المائدة ولم يغب منهم أحد ، حتى الكلب سوزى كان يمرح حولهم .

كانوا قد قطعوا ورق السوليفان مربعات صغيرة ليلفوا الفول والحمص والشيكولاتة التى ستوزع على الصغار فى « السبوع » وقالت الأم :

ــ ما فيش أكتر من حتة شيكولاتة واحده فى كل لفه .

فقالت نبيلة وهى تلف ورقة وتربطها بخيط :

ــ الشيكولاتة مش ح تكفى .

فقالت زينب فى إيمان :

ــ دلوقت ربنا يرزق .

ورن الجرس فتركت سوسن ما فى يدها وجرت لتفتح ، وسرعان ما جاء صوتها معلنا عن القادم :

ــ تانت جيهان .

وقامت زينب تستقبلها فتهللت بالفرح فقد رأت فى يدها صندوق شيكولاتة ، فاندفعت إليها تضمها إلى صدرها وتقبلها وتقول :

ــ ليه التعب ده ؟

ــ ما فيش تعب ولا حاجه .. دا سامى قال لى امبارح قلت آجى أبارك لكم .

وتقدمت نبيلة تصافحها ولكنها رأت أن تقبلها ، فأمها قد فعلت ذلك ولا يليق أن تكون التحية بين الشباب أقل حرارة من تحية الشيوخ للشباب .

ودخلت جيهان غرفة أحلام وإذا بسامى يقبل وقد خلع البيجاما وارتدى القميص والبنطلون . وجد أن ذلك أليق . ولما لمح جيهان تضع صندوق الشيكولاتة حيث وضعت أم جلال الصندوق الذى أتت به أراد أن يطمئنها إلى أنهم شاهدوه قال :

ــ متشكرين .

وأسرعت زينب تعد لها فنجان مغات يليق بالهدية التى حملتها ، وسرعان ما عادت به وقدمته إلى جيهان وهى تقول :

ــ اتفضلى عقبال ما نشرب الشربات يوم فرحك والمغات يوم عوضك .

وتناولت الفنجان فى خجل ورشفت منه رشفة قرأ سامى بعدها فى وجهها عدم رضا فقال :

— بلاش إذا كنتي ما بتحبيش . نجيب لك حاجه تانيه ؟

— أبدا ، ده لذيذ ، بس سخن .

وكانت زينب قد استاءت من قول ابنها ، فلما أبدت جيهان رضاها عنه قالت :

— يا خسارة يا سامى ماليش بخت معاكم .

وأرادت نبيلة أن تغير الموضوع فقالت لجيهان :

— خطيبك اتخرج ؟

— أيوه .

فقالت أحلام :

— وح تتجوزوا امتى ؟

— أول ما تلاقى شقه فاضيه .

فقالت نبيلة :

— ربنا يهون ، لولا جوزى كان فى بيتهم شقه فاضيه كنا زماننا مخطوبين لغاية النهارده .

ولاحظ سامى وأحلام أن هذه أول مرة تذكر فيها زوجها فتبادلا النظرات ، ولم تر زينب فى ذلك ما يدعو إلى الملاحظة أو الاستغراب فقالت لتجامل جيهان :

— ح تفرج ، الحكومه قالت ح تبنى شقق للعرسان .

فقال سامى بسخرية :

— قالت .

وسألت نبيلة جيهان :

— وناويه تكملى بعد الجواز ؟

— طبعا .

وقالت أحلام :

— واتفقتوا إنكم ما تخلفوشي إلا بعد ما تخلصى الجامعه ؟

— طبعا .

فالتفتت أحلام إلى نبيلة وقالت :

— كلهم بيتفقوا فى الأول على كده وبعدين يفهموا .

وقالت نبيلة مؤيدة أختها :

— ما فيش ست يا جيهان تستحمل تضيع شبابها من غير ما تخلف .

فقالت جيهان فى تحد :

— أنا .

فقالت نبيلة فى استسلام :

— كلنا قلنا كده .

وكانت زينب تتململ فى جلستها . لم تكن ضيقة بالحديث الدائر ولكنها كانت تتلهف على أخذ الشيكولاتة التى جاءت بها جيهان لتصبها فوق كوم الفول والحمص وتخلطها به . وجاءت سوسن وقالت :

— انتو ح تقعدوا هنا على طول ؟ أمال مين اللى ح يلف الشيكولاته ؟

ونهرها سامى قائلا :

— امشى دلوقت .

وارتاحت زينب لما فعلته ابنتها فنهضت وقالت :

ـــ جيهان مش غريبه تيجي تشتغل معانا ، نتعب لها فى يوم فرحها .

فقالت جيهان وهى تنهض دون أن تدرى ماذا ستفعل :

ـــ قوى يا تانت .

وساروا إلى غرفة الطعام ، وتذكرت زينب شيئا فعادت وأخذت علبة الشيكولاتة واتجهت بها إلى حيث ذهبوا .

ورأت جيهان كوم الفول والحمص والشيكولاتة ، ورأت مراد وسوسن منهمكين فى لف ورق السوليفان ففطنت إلى ما ستفعله فجلست . وأقبلت زينب وقد صبت الشيكولاتة فوق الفول السودانى والحمص وراحت تقلبه ، ورماها عاطف بنظرة متسائلة وقال :

ـــ منين يا ماما جبتى الشيكولاته دى ؟

فلكزته من تحت المنضدة وكانت كل قسماتها تصرخ فيه : اسكت .

وجلست جيهان وجلس سامى قبالتها وراحوا جميعا يعدون لفافات الهدايا التى ستوزع على الصغار والكبار فى « السبوع » . وراحت هالة تحاول أن تبعثر ما تصل إليه يدها وأمها تحجزها .

وغافل عاطف أمه وسرق قطعة شيكولاتة وقشرها وناولها للكلب ، ولمحته سوسن فقالت :

ـــ ماما الحقى . عاطف بياكل الكلب شيكولاته .

فقال عاطف متبجحا بعد أن انكشف أمره :

ـــ هو يعنى اللى ح يكلوها أحسن منه ؟

وأرادت زينب أن تعلن عن كرمها وسماحتها فقالت :

— ده روح يا سوسن يا كل كل اللى نفسه فيه ، يستاهل كل خير ، ده من يوم ما دخل بيتنا جانا الفرح كله والخير كله .

ولم يعجب ذلك الكلام عاطف فقال :

— أمال رمياه رمية الكلاب فى السطح ليه ؟

٢٠

وضعت قلة فيها شمعة كبيرة مضاءة طوال ليلة « السبوع » فى غرفة نوم أحلام وابنها ، فالشمعة المضيئة لتكون كل أيام المولود أنوارا . والقلة ليشرب فى الصباح رجل حكيم وآخر طويل العمر وثالث هادئ النفس ، ليشب الوليد حكيما طويل العمر هادئ الطبع .

واستيقظ الجميع مبكرين تأهبا « للسبوع » ، فلما وقعت عينا زينب على حسين قالت له :

ــ تعال اشرب من القله .

فسخر منها فإذا بها تقول له :

ــ ما فيش حد هنا نفسه أهدا من نفسك .

ولم يستطع أن يتملص منها فقد قادته فى خفة ودلال إلى حيث ترقد ابنته ، ورفعت الشمعة من القلة ثم قدمت له القلة وهى تقول :

ــ أشرب ، دى ميه بزهر .

ورفع حسين القلة وشرب ، وكان سامى ومراد ونبيلة وسوسن وعاطف قد جاءوا يشاهدون أباهم وهو يشرب ، فلما أعاد القلة إلى مكانها مد سامى يده إليها ليرفعها فإذا بأمه تقول له :

ـــ سيب القله يا سامى .

ونظر سامى فى إنكار إلى أمه فقالت نبيلة :

ـــ انت عايزه يطلع غيار زيك .

فقال سامى فى إنكار :

ـــ بقى أنا غيار ؟

ـــ ده انت تغير من هدومك .. ورثتنى الويل من غيرتك .

وقال مراد :

ـــ أشرب أنا ؟

فقالت أحلام لتشارك فى اللعبة :

ـــ عشان يطلع مطيور زيك .

ـــ الله يسامحك .

وقالت سوسن :

ـــ طب هاتوا أشرب انا .

فقال مراد :

ـــ عشان يطلع فتان زيك . كل حاجه يجرى ويقول الحقى يا ماما .. الحقى يا ماما .

وصمت عاطف لم يشأ أن يتعرض لألسنتهم الحداد ، وجاءت هالة فإذا بأحلام تقول :

ـــ والنبى تسقيها يا ماما م القله .

فقالت زينب :

ـــ عيب يا ولد .

وقالت أحلام :

ـــ لما ييجى جلال . خلوه يشرب م القله .

فقال سامى :

ـــ واشمعنى جلال ؟

فقالت أحلام :

ـــ عاقل ورزين ، يطلع ابنه زيه .

وجاء جلال وأبواه فإذا بزينب تقودهم إلى غرفة أحلام ، فما أن انتهوا من السلام والتحية حتى قدمت زينب إلى مصطفى علوان القلة وهى تقول له :

ـــ اتفضل اشرب .

ـــ أنا مش عطشان ، كتر خيرك .

ـــ لأ ده عشان ياخد .. ياخد طبعك الحلو .

فقالت أم جلال :

ـــ هو كده ؟ طب هاتوا أشرب بقى .

وناول مصطفى زوجته القلة بعد أن شرب منها ، فلما رفعتها لتشرب تبادل حسين وزينب وأولادهما نظرات استياء . وكأنما أرادت زينب أن تمحو أثر شربة حماة ابنتها فقالت وهى تدفع بالقلة إلى زوج ابنتها :

ـــ خد اشرب يا جلال .

فقال وهو يرنو إلى زوجته فى حب :

— إذا كان ولا بد تشرب أحلام ، ياريت ياخد طبعها الحلو .

وكائماً ضايق ذلك القول أمه فقالت :

— طبعا ، قالوا الجحا تحب مين فى العيله ، قال اللى بتنام فى حضنى كل ليله .

وتقاطر الجيران نساء وفتيات وأطفالا وغصت الشقة بهم حتى لم يعد هناك موضع لقدم ، وجاءت نبيلة إلى أمها وقالت :

— أوزع عليهم دلوقت الملبس والشمع ؟

ولمحت زينب جيهان بين الوافدات فقالت لها :

— ما تتعبيش نفسك ، خلى سامى ومراد وجيهان يفرقوا الملبس والشمع ..

وراح سامى ومراد يوزعان لفافات الفول السودانى والحمص وقطع الشيكولاتة ، وأخذت جيهان توزع الشمع ، فلما أعطت سوسن شمعة أبت أن تتناولها وقالت :

— أنا عايزه شمعه كبيره من اللى مخبياهم ماما تحت السرير .

وسمعتها نبيلة فأخذتها بعيدا وهمست فى أذنها أنها ستأخذ ما تريد بعد أن ينصرف المدعوون .

ودخلت زينب غرفة أحلام وراحت تدق بالهاون بالقرب من أذن الوليد وهى تقول :

— اسمع كلام امك .. اسمك كلام ابوك .

فقالت أم جلال منتقدة :

ـــ الكلام ده ما بطل يا ست زينب .

فقالت زينب وهى مستمرة فى دق الهاون .

ـــ لأ يا اختى ، أنا ما دقتش لهاله عشان كده بتتفزع وتتفزز من أى صوت .

ولم تكتف زينب بدق الهاون بل أتت بغربال وضعت فيه شيكولاتة وقوالب سكر ثم وضعت المولود فى الغربال وجعلت تغربله فى حنان . وخرجت به إلى حيث المدعوون مكدسين فقالت أم جلال :

ـــ وإيه لازمة الشيكولاته والسكر ؟

فقالت زينب :

ـــ عشان أيامه كلها تبقى حلوه .

ثم حملته ونحت الغربال بعيدا وقالت :

ـــ ولعوا الشمع .. تعالى يا أحلام .

وإذا بأعواد الكبريت تتوهج وإذا بالشموع تضاء وتسرع نبيلة لتطفئ الأنوار الكهربائية . وجاءت أحلام وحملت ابنها لتسير فى موكب النور فكان مشهدا يهز الأفئدة . ولاح التأثر فى وجوه حسين ومصطفى علوان وجلال . ولم يكتم مصطفى عواطفه فقال فى تأثر عميق :

ـــ الرجلين الحمر تطول العمر .

وارتفعت أصوات النساء والفتيات والأطفال :

حلاقاتك برجالاتك حلقه دهب فى وداناتك

وسارت أحلام تحمل الوليد ومن خلفها أمها وحماتها وأختها ، وبعض

النسوة والفتيات والأطفال يتدافعون حولهن وينشدون :

يارب يا ربنا تكبر وتبقى قدنا وتقيد الشمعه زينا .

ووصل الموكب الصاخب إلى باب الشقة وحسين ومصطفى وجلال يرقبون الأحداث فى انفعال شديد ، وما أن هب الهواء من الباب المفتوح حتى أخذت زينب المولود من ابنتها وقالت لها :

— ارجعى انتى ، إنتى طريه .

وخافت أحلام على ابنها فقالت لأمها :

— الدنيا برد عليه .

— ما تخفيشى .. أنا مكلفتاه قوى .

و لم يطمئن قلب الأم فقالت وهى مشفقة على وليدها :

— يعنى لازم يوصل لغاية الشارع ؟

فقالت زينب :

— ده راجل ، هو ح يفضل قاعد فى البيت .

وعادت أحلام إلى غرفتها وهى ترتجف خوفا على ابنها ، ولولا خجلها لخطفته منهن وضمته فى حنان إلى صدرها .

وهبطت زينب الدرج وهى تحمل حفيدها والنسوة والفتيات والأطفال ينشدون ودوت الزغاريد ، وراح الكلب ينبح من السطح دون أن يأبه له أحد .

وتدافع الأطفال فى السلم وهم يحملون الشموع ، وخرج حسين ومصطفى وجلال ينظرون ؛ كانت وجوههم تترقرق بالبهجة

والانشراح . ولما وصل الجميع إلى باب البيت انصرف بعضهم وعاد البعض خلف زينب وأم جلال ونبيلة .

وانفض الحفل فلم يبق فى الشقة إلا أبناء حسين ومصطفى وزوجته وجلال ، وقالت أم جلال :

ـــ نستأذن بقى .

فقالت زينب وهى تدفعها فى رفق لتجلس :

ـــ لا والنبى .. لما ناكل لقمه سوا .

فقالت أم جلال :

ـــ معلهش اعفينا النهارده .. يوم تانى .

وضايق مصطفى علوان إصرار زوجته على الانصراف قبل أن يتناولوا عشاءهم فقال :

ـــ الست حلفت ، انتى عايزه تنزلى حلفانها الأرض ؟!

٢١

ـــ مش لاقيه المريله يا ماما .

صاحت سوسن وهى تدور فى غرف الشقة ثم قالت :

ـــ أنا عارفه الأجازه خلصت بدرى ليه ؟

فقال عاطف وهو يبحث عن فردة الجورب تحت السرير :

ـــ ما هى الأيام الحلوه دايما عمرها قصير .

وعثر على الجورب فدس رجله فيه ولبس الحذاء ، وجعل يتلفت منقبا ثم قال :

ـــ فين كراسة الحساب ؟ بقى يوم ما اخلص الواجب ما القهاش !

و لم يعثر عليها فاشتد ضيقه ، وكاد الغيظ يخنقه فقال :

ـــ أنا عارف مين اللى اخترع المدارس ؟ ما كانش مات قبل ما يخترعها ويريحنا .

فقال مراد وهو يرشف كوب الشاى :

ـــ دى المدارس حتخليك بنى آدم .

و لم يعجب ذلك الكلام عاطف فقال له :

ـــ يعنى اللى ما دخلوش مدارس [illegible] بنى آدمين ؟ أمال ملوك زمان

ازاى بقوا ملوك وهم ما دخلوش مدارس .

ووقفت زينب تصغى إلى ذلك الحوار وفى يديها صينية عليها أكواب الشاى ، فلما رآها مراد قال ساخرا من أخيه :

— تعرفى يا ماما إن ما كنتوش وديتوا عاطف المدارس كان بقى ملك .

فجاءت سوسن وقد عثرت على مريلتها وسمعت طرفا من الحوار فقالت لأمها :

— يعنى إيه ملك يا ماما ؟

فقالت الأم وهى تضع لهم صينيه الشاى :

— اشربوا بلاش غلبه عشان تفطروا وتروحوا مدارسكم قبل ما تتأخروا .

وتناول عاطف كوب الشاى بعد أن رشف منه رشفة وقال :

— ما عندكيش بسكوت يا ماما ؟

فقالت فى تأنيب :

— اللى ما فى الشقة لقمه .. خد من بابا خمسه صاغ وروح اشترى لنا عيش .

فقال مراد :

— خد عشره صاغ وهات بخمسه عيش وبخمسه طعميه .

فقال له عاطف :

— ما تروح انت .

وكان حسين قد خرج من غرفته فقال :

ـــ خد يا مراد العشره صاغ .

وأسقط فى يد مراد فذهب إلى حيث وقف أبوه وتناول العشرة القروش وانصرف ، وجاء سامى بعد أن اغتسل وهو يجفف شعره فقال له أبوه :

ـــ انت مش رايح النهارده يا سامى ؟

ـــ عندى محاضره الساعه حداشر .

واقترب سامى من أبيه وقال :

ـــ عايز تلاته جنيه .

ـــ ليه يا سامى ؟

ـــ اشترى الملازم اللى نازله النهارده .

ولما سمع الأولاد ما طلب سامى هرعت سوسن وعاطف إلى أبيهما وقالت سوسن :

ـــ الناظرة قالت لنا كل واحده تجيب جنيه .

ـــ ليه ؟

ـــ مساهمة فى نشاط المدرسه .

وقال عاطف :

ـــ وانا برضه قالوا لى هات جنيه .

وعاد مراد يحمل الخبز وقرطاس الطعمية ، فإذا بزينب تنادى :

ـــ تعالى يا نبيله قبل الطعميه ما تبرد .

ووضع مراد ما حمل على منضدة وقال :

— اعملى لى سندويتش يا ماما أنا اتأخرت .

وتناول مراد الساندويتش من أمه وهرع نحو الباب . فإذا بأبيه يقول له :

— وانت جاى يا مراد هات حسين معاك .. الواد وحشنا .

وفتح مراد الباب وانصرف ، والتفتت نبيلة — التى جاءت وقد انتفخ بطنها — إلى أمها وقالت :

— بابا اتعلق بابن أحلام .

— يا بنتى قالوا فى الأمثال : أحب الولد ولد الولد .

وخرج عاطف وتبعته سوسن ، وجلست الأم مجاملة لابنتها نبيلة فما كانت لتأكل إلا بعد أن يأكلوا جميعا ، ونادت على زوجها وابنها قالت :

— حسين .. سامى .. تعالوا كلوا لكم لقمه .

وأقبل حسين وسامى يشاركانهما الطعام ، فقالت زينب :

— تاكلوا إيه النهارده ؟

فقال حسين :

— اللى تعملوه ..

فقالت زينب .

— ما تدوخونيش كل يوم .. قولوا تكلوا إيه ؟

فقال سامى :

— بسله ورز .

— النهادره الاتنين ما فيش لحمه ، رأيكو تحدقوا النهارده تاكلوا كشرى .

فقال سامى :

— لما انتى ناويه تأكلينا كشرى بتسألينا ليه ؟

كان ذلك شأنها تسألهم عما يريدون أن يأكلوا ثم تصنع لهم ما يحلو لها .

وانصرف الأب ثم سامى و لم يبق فى البيت غير زينب ونبيلة وهالة ، فقالت نبيلة لأمها :

— خشى انت استريحى النهارده وانا اعمل الكشرى .

فقالت زينب :

— أستريح من أيه ؟

— من دوشتهم .

— والله البيت من غيرهم ماله طعم ، مش عارفه ح اعمل إيه لما يكبروا ويتجوزوا ويصفصف علينا البيت أنا وابوكى .

وشردت زينب مفكرة ، ولاحظت نبيلة مسحة من الأسى تكسو وجه أمها فقالت لها :

— ما تفكريش فى الحكايه دى لسه بدرى .

— الأيام بتجرى يا نبيلة ، أنا ولدتك من عشرين سنه فاتوا زى ما يكونوا يومين . فاكره لما كنتى زى سوسن ؟ أدى انتى اتجوزتى وكلها

جمعه واللا اتنين وح تبقى أم .

وشردت نبيلة ولاحظت زينب سهومها فقالت لها :

ـــ الدنيا على كده .. ما تفكريش .

ودخلت الأم المطبخ وتبعتها نبيله ، وإذا بهالة تسير خلفهما تتعثر فى أرجلهما . وبعد الظهر عاد الأولاد إلى البيت وقفل حسين راجعا وكان أول ما قاله :

ـــ هو مراد جه ؟

فقالت زينب :

ـــ لسه .

ـــ يبقى راح يجيب حسين .

وقبل أن يلتفوا حول الكشرى دق جرس الباب فصاحت سوسن :

ـــ مراد جه .

وهرولت إلى الباب وفتحته ثم صاحت فى فرح :

ـــ جاب حسين معاه .

وقام حسين ليستقبل حفيده ونبيلة ترقبه فى عطف ، فلما وصل إلى حيث كان مراد سمع سوسن تقول متوسلة :

ـــ أنا أشيله .. أشيله والنبى .

وحمل حسين حفيده وراح يداعبه .

فإذا بزينب وأبنائها جميعا يهرعون لمداعبة الطفل ، وارتفعت الأصوات :

ــــ أنا أشيله .. أنا أشيله .

فالتفتت إليهم زينب وقالت :

ــــ اشمعنى ده حلى ، ما كلكم بتهربوا من شيل هاله .

وأراد حسين أن يرضيهم جميعا فوضع الطفل على الأرض ، فإذا بهم يركعون على ركبهم وأيديهم حتى حسين وزينب فعلا ذلك وراح كل منهم يحاول بحركات وجهه وإخراج لسانه وتلعيب حاجبيه أن يلفت نظر الطفل إليه . ورأى عاطف أن عقد الأسرة لا بد أن يكتمل فأسرع إلى السطح وأحضر الكلب ووضعه معهم فى الحلقة التى ضربت حول حسين الصغير .

ومر بعض الوقت وجاء جلال وقال :

ــــ فين سونه ؟

فقالت زينب :

ــــ جوه مع جده .

ــــ أحلام عايزاه لاحسن وحشها .

ودخل وحمل ابنه وانصرف ، وهرع عاطف وسوسن إلى التلفزيون ، وجاءت جيهان ودخلت تذاكر مع سامى ، وسمع صوت كلاكس سيارة فقال مراد :

ــــ صاحبى جه .. أنا رايح يا ماما أذاكر معاه .

فقالت زينب :

ــــ طب ما تذاكر هنا .

ـــ فين ؟.. سامى وجيهان بيذاكروا فى الأوده ، السنه دى مش عايزه لعب دى الثانوية العامه .

ـــ والله أنا خايفه عليك .

ـــ بقى جيهان بتذاكر مع سامى وما حدش خايف عليها وخايفه علىّ أنا أذاكر بره .

وخرج مهرولا وهبط الدرج يركب إلى جوار صديقه فى السيارة وانطلقت بهما ، وعند شارع من شوارع القاهرة الهادئة وقفت السيارة وصعدت إليها فتاتان ثم انطلقت السيارة والضحكات تتجاوب فى أرجائها .

وترك عاطف التلفزيون وذهب إلى أبيه وقال :

ـــ النهارده كان فيه روايه فى التلفزيون غريبه قوى خلصت من غير ما حد يتجوز فى آخرها .

وقالت له زينب :

ـــ طب خش انت واختك وذاكروا بقى ، شايفين سامى بيذاكر ازاى ومراد خرج فى البرد ده عشان يذاكر ، كبدى عليه ح يموت نفسه فى المذاكره السنه دى .

٢٢

بخار الماء يملأ الشقة وأحلام وجلال وحسين يغدون ويروحون فى قلق ، ومن شدة قلقهم يتبادلون حمل حسين الصغير كلما هم بالبكاء ، وارتفع صوت زينب قائلة :

ــ ناولينا الميه السخنه يا أحلام .

وحملت أحلام الماء الساخن واتجهت به إلى الغرفة المغلقة ، وسرعان ما ارتفع بكاء المولود ، فخرجت زينب وقالت :

ــ مبروك ولد .

وخرجت الدكتورة ودخل حسين وجلال وأحلام يباركون لنبيلة ، وسرعان ما خرجت أحلام يتبعها زوجها فقالت وقد ظهر الضيق فى وجهها :

ــ والنبى ابن خالك ده بايخ .

وهاجمت رأس جلال فكرة وما أسرع أن عزم على إنفاذها ، فحمل ابنه وخرج لا يلوى على شيء وانطلق إلى بيت ابن خاله ، فلما طرق الباب فتحه له شفيق ، فما أن رأى ابن جلال حتى بش وحمله ودخل وهو يداعبه ، فإذا بحسين الصغير يبتسم فيستشعر شفيق أن الكون كله قد

أشرق .

وجلس الرجلان ولا حديث بينهما فقد كان وجود الطفل أفصح من كل كلام ، فنهض شفيق وعاد يحمل شيكولاتة وقال لجلال :

— ياكل شيكولاتة ؟

— بياكل .

وقدم شفيق الشيكولاتة للطفل فراح يأكلها وقد لوث فمه ، فلما أتى عليها حمله شفيق وذهب إلى الحمام وراح يغسل له فمه والطفل يعبث بيده فى الماء المنهمر من الصنبور .

وأحس شفيق مشاعر رقيقة . إن كل كآبة قد غسلت من صدره وانسكبت فيه عواطف ناعمة رقيقة حانية ، ولم يستطع أن يكبح جماح إحساساته فقال :

— ابنك لطيف يا جلال .

ورى جلال أن يطرق الحديد وهو ساخن فقال :

— نبيله جابت لك ولد ألطف منه .

فقال شفيق دون تفكير :

— هى نبيله ولدت ؟

— ولدت وجابت لك ولد ألطف من حسين .

— مش معقول :

فقال له جلال وقد دنا منه .

— مش تعقل بقى وتسيب عناد الأطفال ده .

و لم يحر شفيق جوابا بل ضم إليه الطفل و قبله قبلة ترجمت عن التحول الهائل الذى طرأ عليه ، فقال له جلال :

— طب قوم بقى نروح لها .

فقال له شفيق وهو يبتسم :

— يعنى مش تيجى معايا لما ابيع العربيه .

فقال له جلال فى انشراح :

— نويت ؟

فهز له شفيق رأسه أن نعم ، وانصرف الشابان وركبا السيارة لآخر مرة وانطلقا بها إلى محل بيع وشراء سيارات وقد غادراه بدونها .

ودق جرس باب شقة حسين فهرعت سوسن وفتحت ، وما أن رأت جلال وشفيق حتى صاحت :

— شفيق جه يا ماما .

وخف حسين لاستقبال زوج ابنته وهو يكاد يطير من الفرح ، وجرى عاطف إلى نبيلة يزف إليها البشرى . وما أن وقعت عينا حسين على شفيق حتى اغرورقت عيناه بالدموع و لم يتمالك حتى عانقه . ومسح جلال من عينيه دمعة كبيرة انحدرت على خده ، وهرع الجميع إلى شفيق فرحين . إنهم يصافحونه مصافحة الغائب الذى عاد . واستقبلته زينب مرحبة :

— أهلا .. أهلا وسهلا .. ادخل .. ادخل شوف ابنك .

ودخل شفيق ، وما أن تلاقت عيناه بعينى نبيلة حتى اغرورقت عيناه

بالدموع وسحت نبيلة العبرات فقالت زينب :

ـــ ده مش وقت عياط .

وخطفت أحلام ابنها من أبيه وراحت تقبله لتنفس عن العواطف المكبوتة فى صدرها ، فلو طاوعت نفسها لأجهشت بالبكاء .

وجاء سامى يداعب شفيق فقال :

ـــ والله كبرنا وبقى لنا أولاد .

فقال له شفيق :

ـــ عقبالك لما تبقى راجل زينا .

وجاء مراد وقال :

ـــ الجو لذيذ قوى .

فقالت له أحلام :

ـــ وانت اش عرفك ؟

وانسل مراد دون أن ينبس بكلمة ، ومالت زينب وحملت المولود وقدمته إلى أبيه ، فحمله شفيق وقد انداحت رقة فى جنباته وظل يرنو إليه فى حب عميق ، فقالت له نبيلة :

ـــ مش حلو ؟

فقال فى صدق :

ـــ ما فيش أجمل من كده .

فقال سامى :

ـــ خنفسة شافت ولادها على الحيط ، قالت ما أحلى ولادى زى

اللولى فى خيط .

فقالت أحلام :

ــ ده والنبى كله انت .

فقال سامى :

ــ هو انا وحش كده ؟

فقالت نبيلة :

ــ يا ريتك كنت حلو زيه .

وجاءت زينب بفنجان مغات وقدمته إليه وقالت :

ــ اتفضل .

فأعاد شفيق ابنه إلى جوار أمه وتناول الفنجان ، وقالت له زينب :

ــ خلاص ، افضل معانا لغاية « السبوع » .

ــ متشكر ، أنا السبوع ح اعمله فى بيتنا .

وازدرد حسين ريقه ، فما كان يحتمل حدوث ما حدث يوم « سبوع » ابن أحلام ، وما انتهى شفيق من شرب المغات حتى عاد يحمل ابنه ، ثم التفت إلى حماه وقال :

ــ ح اسميه حسين .

فقالت أحلام :

ــ احنا سبقناك .

فقال شفيق :

ـــ وفيها إيه ، ابنكم اسمه حسين جلال وانا ابنـــى اسمه حسين شفيق .

وطغت عواطف حسين فذهب إلى شفيق واعتنقه .

٢٣

كان جلال وأحلام يدفعان عربة ابنهما أمامهما وإلى جوارهما يسير شفيق ونبيلة يدفعان عربة أخرى بها ابنهما . كان الجو لطيفا والطريق هادئا وكانت المشاعر التى تفيض بها النفوس . وساد الصمت بينهم فكل منهم كان ينعم بالانشراح الروحى الذى جعله يحس أنه يهيم فى ملكوت من لطف وسحر وجمال .

وأراد جلال أن يقطع الصمت الذى لفهم فالتفت إلى شفيق وقال :

ــ أنهين ألذ ، سواقة العربية والا زق العربيه ؟

فدفع شفيق عربة ابنه أمامه وقال :

ــ زق العربيه ألذ .

فقال جلال مداعبا نبيلة :

ــ خلاص تيجى له أخت .

فقالت نبيلة فى تصنع :

ــ توبه ، كفايه واحد ، هو احنا قادرين عليه .

وقال شفيق :

ــ ده قاطع أبو نيه عند الدكتور من يوم ما جه ، وعبال ما نلاق علبة

اللبن بندوخ .

وقالت نبيله فى إشفاق :

— الله يكون فى عون ماما . أنا عارفه ربتنا ازاى .

و لم يعجب ذلك الكلام أحلام فقالت :

— أنا ح اجيب له أخ واللا أخت ، لو فضل وحده ح يطلع أنانى .

فقال شفيق :

— أنانى أنانى بس كفايه علىَّ كده .

وقالت أحلام لأختها :

— إلا يا نبيله لما ح تتوظفى ح تعملى فيه إيه ؟

— ح اسيبه عند ماما الصبح ولما ارجع ابقى آخده .

فقالت أحلام :

— تفتكرى الماهيه اللى ح تاخديها تستاهل المرمطه دى كلها ؟ ح تدوّبى بها جزم وشربات وح تركبى بها تاكسيات .

فقال شفيق :

— انتى متفائله قوى ، هى فين التاكسيات دى ؟

وقالت أحلام وقد ذهبت لتغطى ابنها جيدا بينما جلال يدفع العربة :

— لو الحكومه تنصف كانت قالت : الست المتجوزه ومخلفه تقعد فى البيت وتدى لجوزها نص ماهيتها .

فقالت نبيلة معترضة :

— وليه ما تاخودهاش هى ؟

ـــ ياخدها هو تاخدها هى المهم إن الستات اللى متجوزين ومخلفين يقعدوا يربوا اولادهم ، تربيه الأولاد أهم من الشغل اللى بيشتغلوه ده إن كانوا بيشتغلوا حاجه . دى زيادة عن إن أزمة المواصلات ح تتحل ، وإن الدوله ح توفر الفلوس اللى بتشترى بيها كماليات وتواليتات للستات اللى بيشتغلوا ويخرجوا كل يوم .

ومرت الأيام وخرج حسين مع أحفاده ، قصد حديقة من الحدائق وسار فى يده حسين جلال وحسين شفيق وفى يده الأخرى زينب الصغرى ابنة أحلام ، إنه كان سعيدا يستشعر أن شبابه قد عاد إليه وأن الدنيا تبتسم له .

ومرت الشهور وخرج جلال وزوجته وشفيق وزوجته للنزهة .

كان جلال قد أمسك ابنه حسين فى يد وفى يده الأخرى زينب الصغيرة وأحلام تدفع العربة فيها وليده الثالث ، وسار شفيق وقد قبض على يد ابنه فهو يخشى أن يجرى ، فحسين شفيق لا يطيق أن يمشى الهوينى ، وقد دفعت نبيلة العربة وفيها مولودها الثانى ، والتفت إليها جلال وقال :

ـــ البنت التالته سميها أحلام .

ـــ لأ يا خويا كفايه .

ـــ ما انتى نفسك فى بنت .

فقالت نبيلة وهى تضحك :

ـــ دول عايزين أب سعيد وأم حديد .

فقال جلال مداعبا شفيق :

ـــ خلاص ! أبوهم غنى وامهم عينى بارده عليها .

فقال شفيق :

ـــ القرشين طاروا والشكوى لغير الله مذلة ، ده احنا لو جبنا التالت ح نقف على باب سيدنا الحسين ونقول لله .

فقال له جلال :

ـــ يا راجل قول الحمد لله . انت بتشتغل ونبيله بتشتغل .

وقالت أحلام :

ـــ وبترمى اولادها على امها .

وتصرمت أشهر وانقضى عام ، ورن الجرس فى بيت حسين ، فأسرعت زينب وفتحت وإذا بنبيلة قد جاءت بأولادها الثلاثة وقالت زينب لأحفادها :

ـــ أهلا .. أهلا بالحلوين .

وانسلت نبيلة وهى تقول :

ـــ يمكن اتأخر فى الشغل النهارده .

ـــ على مهلك يا بنتى .

ـــ معلهش ، أنا عارفه إنهم بيتعبوكى .

ـــ أبدا يا نبيله .

ودخلت زينب بعد أن حملت الصغيرة التى كانت على كتف ابنتها وقالت لحفيدها :

ـــ حسين امسك إيد اخوك وتعالى .

وسارت وأجلست الطفلين وقالت لهما :

ـــ خليكو هنا لما أشوف لكم كل واحد بيضه .

ودخلت إلى المطبخ وهى تحمل حفيدتها وتداعبها ، وما لبثت أن سمعت جرس الباب فقالت وهى تضع البيض على النار :

ـــ حاضر .. جايه .. جايه اهو .

وفتحت الباب فإذا بجيهان تحمل ابنتها على كتفها :

ـــ لا مؤاخذه يا تانت ، والنبى تخلى بنتى مع اولاد نبيله لغاية ما اخلص الامتحان ، هانت آخر امتحان .. أصل جوزى سافر امبارح .

ـــ من عينى يا جيهان . قعديها معاهم .

ودخلت جيهان وأجلست ابنتها مع حسين الصغير وأخيه ، فمال حسين وقبلها .

فقالت زينب :

ـــ لايقين لبعض . مش كده يا جيهان ؟

فابتسمت جيهان وقالت :

ـــ خلاص يا تانت ، خدوها من دلوقت .

ـــ ربنا يهنيكى بيها .

وقالت جيهان :

ـــ هو سامى خرج ؟

ـــ خرج من بدرى .

— ادعى لنا يا تانت .

— ربنا ينجح مقصودكم يا بنتى .

وانصرفت جيهان ، وعادت زينب إلى المطبخ فألفت الماء يغلى والبيض يتحرك فى الإناء من شدة البخار ، فأطفأت النار وأخذت البيض وذهبت إلى حيث كان الأطفال وجلست على الأرض وقشرت أول بيضة ، فأخذها حسين فإذا بأخيه يستاء فقالت له :

— معلهش ، ح اديك البيضه اللى باقشرها دى .

ومدت ابنة جيهان يدها وقبضت على بيضة كانت فى الطبق ، فإذا بها تصرخ ، كانت البيضة لا تزال ساخنة . وفزعت ابنة نبيلة فبكت لبكاء ابنة جيهان . ولما رأى حسين وأخوه بكاء أختهما انخرطا فى البكاء وراحت زينب تحاول إسكات الأطفال الثلاثة دون جدوى ، صفقت لهم .. انشالت وانحطت فى مكانها كالقرد ، أصدرت أصواتا لعل الأطفال ينشغلون بها عن البكاء ، صنعت كل ما فى طاقتها دون جدوى ، وظل البكاء مستمرا بل ازداد كأنما البكاء يجلب البكاء ، ونفد صبر زينب فقالت فى غضب ويأس :

— بقى يا ربى هم يزربوا وتيجى على راسى انا ؟!

٢٤

مرت خمس عشرة سنة منذ زفاف أحلام ، وكان حسين فى غرفة النوم شاردا .. يعجب كيف انقضت سريعا كل تلك السنين . إنه سيبلغ سن الستين بعد أيام ، سن التقاعد ، وهو لا يدرى ماذا ستكون حياته بعد ذلك ، وقد اعتاد أن يخرج فى الصباح ويتجه إلى مكتبه ويمكث به حتى متنتصف الثانية بعد الظهر ، وكثيرا ما كان يعود إليه فى المساء .

صار مكتبه قطعة منه يحز فى نفسه أن يفارقه بعد صحبة السنين الطويلة . إنه وإن كان جمادا إلا أنه كان بالنسبة إليه أكثر حياة من كثير ممن عرفهم وممن مروا فى حياته مر الكرام . ويا طالما شهد ذلك المكتب أيام بهجته وأيام سروره وأيام ضيقه ، فبين جدرانه جرت أحلى الذكريات .

ولمحت زينب الأسى فى وجه زوجها فقالت له :

ــ بتفكر فى إيه يا حسين ؟

فقال حسين وهو يبتسم ابتسامة مريرة :

ــ ح يبقى عندى ستين سنة بعد اربع تيام .

فقالت زينب :

ــ ربنا يديلك طولة العمر ، أبويا عاش لما بقى عنده تمانين .

ولم يكن بلوغه سن الستين هو الذى يشغله إنما كان يشغله أنه لن يذهب إلى مكتبه ، ليتهم يسمحون له بأن يذهب إليه بعد التقاعد دون أن يتقاضى شيئا فوق معاشه . إن ما يحز فى نفسه أنه سيفقد عادته ، وإنه لمن الصعب أن يعتاد المرء على شىء لم يألفه من قبل بعد الستين ، فقال :

— ح اتحال ع المعاش يا زينب .

— الحمد لله ، لا عندنا اللى بيعيط ولا عندنا اللى بيوقوق ، خلصنا ذمتنا منهم كلهم .

ولمعت فى ذهنها فكرة فقالت :

— انت طول عمرك مهنينا ، لازم نحتفل بك .

فقال حسين فى خوف :

— لأ يا زينب ، ما فيش لازمه .

صرفت علينا كلنا ح تبخل على نفسك ؟

وتردد وأخيرا رأى ألا مفر من أن يقولها :

— لازم يا زينب نمسك إيدينا ، انتى عارفه المعاش يعنى إيه .

— راضيين والحمد لله ، وهو لما نحتفل بيك لازم نبعزق ، ح نعزم الأولاد ع الغدا واللا العشا ، ويوم ما يبقوا كلهم حوالينا يبقى يوم عيد .

— احنا دلوقت يا زينب ما نقدرش نكفيهم عيش .

— الخير كتير ، والنبى لانفرح بيك زى ما فرحتنا كلنا .

ويوم أتم الستين اجتمعت الأسرة حول المائدة ، إنها لم تعد أسرة بل صارت قبيلة ، ومدت المائدة حتى وصلت إلى الغرفة التى كانت

للبنات ، وجلس حسين على رأسها ، وعن يساره شفيق وخمسة أبناء ، وبعدهم جلست نبيلة ، وجلس سامى وبعده ولدان ثم زوجته ، ثم سوسن وابنتها وزوجها ، وعن يمينه جلس جلال وثلاثة أبناء ثم أحلام ، وبعد أحلام جلس مراد وابنه وزوجه ، ثم هالة وزوجها ، وجلس عاطف وحده فلم يتزوج بعد .

وجاءت زينب من المطبخ تحمل حلة كبيرة بها مغرفة ، فلما رآها الأحفاد صاحوا :

ـــ تيتا .. تيتا .. تعيش تيتا .

وقالت زينب لتغريهم على التزام الصمت :

ـــ اللى ح ياكل وهو ساكت جدو ح ياخده الملاهى .

وراحت تغرف من الحلة وتضع فى الصحاف الموضوعة أمام الجميع ، فإذا وصلت إلى هالة قالت لها :

ـــ خدى بالك من جوزك يا هاله .

وإذا غرفت لمراد وابنه وزوجته قالت :

ـــ أكّل ابنك ومراتك يا مراد .

وغرفت لأحلام وقالت لها :

ـــ مش ح اوصيكى على اولادك يا أحلام .

وغرفت لجلال وقالت :

ـــ يعجبنى جلال . مش عايز حد يأكله .

ووصلت إلى زوجها فغرفت له وقالت :

— ربنا يخليك لنا ميت سنه .

وغرفت لشفيق ولأولاده الخمسة ولنبيلة ثم قالت لها :

— شدى حيلك يا نبيلة ح تبقى عيله زينا .

فقال جلال مازحا :

— قصدك قبيله ..

وابتسم حسين فابتسم الجميع ، وغرفت لسامى وقالت له :

— أوعى تاكل أكل ولادك يا سامى .

وراحت تغرف لولديه ولزوجته .

وغرفت لسوسن وهى تقول :

— مين كان يصدق ان سوسن ح تكبر ويبقى لها بنت .

وقالت أحلام :

— اقعدى بقى يا ماما .

فقالت زينب وقد أفرغت الحلة وانطلقت صوب المطبخ :

— لما اجيب لكو المكرونه .

وغابت قليلا ثم عادت تحمل صاجا أشبه بصاج المكرونة فى محال السندويتشات ، وصاح الأحفاد :

— تيتا .. تيتا .

— اللى ح ياكل وهو ساكت ح ياخده جدو الملاهى .

* * *

وانطلق حسين فى رفقة أحفاده إلى الملاهى ، وذهب إلى الشباك

وقال :

— اتناشر تذكره .

فنظر الرجل إلى الأولاد ، ثم رمق حسين فى إشفاق وقال :

— كفايه تسعه .

وتناول التذاكر واتجه إلى الباب . فإذا بالرجل الواقف عند الباب يلقى نظرة إشفاق على الأولاد ويرق قلبه لحسين فيأخذ منه التذاكر ، ثم ينطلق إلى شباك الحجز ويعيد ثلاث تذاكر ثم يقفل عائدا إلى حسين ويعطيه ثمن التذاكر التى ردت ويقول له :

— كفايه سته .

ويدخل الأحفاد إلى الملاهى ويجرون هنا وهناك فيصيح حسين :

— حسين جلال .. حسين شفيق .. خلوا بالكو من اخواتكم ومن الأولاد .

فرد عليه أحدهم :

— استريح انت عندك وح نبقى نيجى لك .

وذهب حسين وجلس على مقعد وغفا ، وانتشر الأحفاد فى الدنيا الضيقة — وما أسرع ما سينتشرون فى الدنيا الواسعة ، فى أرض الله .

مؤلفات الأستاذ عبد الحميد جودة السحار

- أحمس بطل الاستقلال
- أبو ذر الغفارى ترجم إلى الاندونيسية
- بلال مؤذن الرسول
- فى الوظيفة (مجموعة أقاصيص)
- سعد بن أبى وقاص
- همزات الشياطين (مجموعة أقاصيص)
- أبناء أبى بكر الصديق
- فى قافلة الزمان (رواية)
- أميرة قرطبة (قصة)
- النقاب الأزرق (قصة)
- المسيح عيسى بن مريم
- أهل بيت النبى
- محمد رسول الله تأليف : مولاى محمد على
ترجمة بالاشتراك مع مصطفى فهمى
- قصص من الكتب المقدسة (مجموعة أقاصيص)
- صدى السنين (مجموعة أقاصيص)
ترجمت إلى الاندونيسية
- حياة الحسين
- الشارع الجديد (رواية)
- وكان مساء (قصة)
- أذرع وسيقان (قصة)
- المستنقع (قصة)
- ليلة عاصفة (مجموعة أقاصيص)
- الحصاد (رواية)
- جسر الشيطان (قصة)

- النصف الآخر (قصة)
- السهول البيض (رواية)
- أم العروسة (قصة)
- قلعة الأبطال (قصة)
- وعد الله وإسرائيل
- عمر بن عبد العزيز
- هذه حياتى
- الحفيد
- ذكريات سينمائية
- كشك الموسيقى
- خفقات قلب
- صور وذكريات
- الإسراء والمعراج
- القصة من خلال تجاربى الذاتية
- عدو البشر
- أبطال الجزيرة الخضراء
- الثمر
- الله اكبر
- ثلاثة رجال فى حياتها
- مسجد الرسول
- فات الميعاد
- آدم إلى الأبد
- العرب فى أوربا
- الدستور من القرآن العظيم

رقم الإيداع ٣٤٢٨
الترقيم الدولى ٧ — ١٤٤ — ٣١٦ — ٩٧٧